صديقي المختلف عقليًّا

تأليف

د. عبير محمد أنور

رسوم

هشام حسين

الدار النموذجية للطباعة والنشر

صيدا - بيروت

شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة العصرية
الخندق الغميق - ص.ب: 11/8355
تلفاكس: 655015 - 632673 - 00961 1 659875
بيروت - لبنان

• الدار النموذجية
بوليفار د. نزيه البزري - ص.ب: 221
تلفاكس: 720624 - 729259 - 00961 7 729261
صيدا - لبنان

• المطبعة العصرية
كفر جرة - طريق عام صيدا - جزين
00961 7 230841 - 07 230195
تلفاكس: 655015 - 632673 - 00961 1 659875
صيدا - لبنان

الطبعة الأولى
2020م - 1441هـ

Copyright© all rights reserved
جميع الحقوق محفوظة للناشر
لا يجوز نشر، أي جزء من هذا الكتاب، أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو، أو بأي طريقة، سواء كانت ألكترونية، أو بالتصوير، أو التسجيل، أو خلاف ذلك، إلا بموافقة كتابية من الناشر مقدمًا.

alassrya@terra.net.lb
E. Mail: alassrya@cyberia.net.lb
info@alassrya.com

موقعنا على الإنترنت
www.alassrya.com

الْفَصْلُ الْأَوَّلُ

«أَمِينٌ» جَارُنَا

1

جَلَسَ «أَحْمَدُ» يَلْعَبُ مَعَ أُخْتِهِ «هُدَى» فِي شُرْفَةِ الْمَنْزِلِ، كَانَ «أَحْمَدُ» مُنْشَغِلًا بِرَسْمِ لَوْحَةٍ يُصَوِّرُ فِيهَا فَرْحَةَ الْأَطْفَالِ بِالْعِيدِ، وَكَانَتْ «هُدَى» جَالِسَةً بِجِوَارِهِ، تَنْظُرُ إِلَى اللَّوْحَةِ بِإِعْجَابٍ شَدِيدٍ. كَانَ الْجَوُّ هَادِئًا، وَالسُّكُونُ يَعُمُّ الشَّارِعَ... وَفَجْأَةً انْطَلَقَ صَوْتٌ مِنَ الشُّرْفَةِ الْمُقَابِلَةِ!

نَظَرَتْ «هُدَى» بِاسْتِهْزَاءٍ، وَقَالَتْ لِـ «أَحْمَدَ»:

ـ اسْتَمِرَّ يَا «أَحْمَدُ». إِنَّهُ الْوَلَدُ الْأَهْبَلُ جَارُنَا، الَّذِي يَتَكَلَّمُ كَلَامًا غَرِيبًا!

ـ «أَمِينٌ»... نَعَمْ أَعْرِفُهُ إِنَّهُ مُنْذُ سَكَنَ فِي الْعِمَارَةِ الْمُقَابِلَةِ لَنَا؛ وَهُوَ يَقْضِي سَاعَاتٍ طَوِيلَةً فِي الشُّرْفَةِ... إِنَّهُ يَتَحَدَّثُ كَثِيرًا إِلَى نَفْسِهِ، وَيَعْمَلُ حَرَكَاتٍ غَرِيبَةً بِيَدِهِ... أَصْلُهُ مُتَخَلِّفٌ عَقْلِيًّا يَا «هُدَى»!

رَدَّتْ «هُدَى»:

ـ أَعْرِفُ أَنَّهُ مُتَخَلِّفٌ عَقْلِيًّا... أَيْ طِفْلٌ غَبِيٌّ لَا يَفْهَمُ!

وَعَـادَ «أَحْمَدُ» لِرَسْـمِ لَوْحَتِهِ، وَعَادَتْ «هُدَى» لِلْجُلُوسِ سَـاكِنَةً بِجِوَارِهِ. فَجْأَةً انْطَلَقَتْ صَفَّارَةٌ أَسْفَلَ الشُّرْفَةِ، فَقَفَزَتْ «هُدَى»، وَأَسْرَعَ «أَحْمَدُ» يُطِلُّ مِنَ الشُّـرْفَةِ... إِنَّهُمْ أَصْدِقَاؤُهُـمْ: «مُرَادٌ»، «وَمَيٌّ»، وَ«مَـرْوَةُ» جَاءُوا إِلَيْهِمْ لِيَلْعَبُوا جَمِيعًا فِي حَدِيقَةِ الْمَنْزِلِ.

أَسْـرَعَ «أَحْمَدُ» وَ«هُدَى» بِالِاسْـتِئْذَانِ مِنْ وَالِدِهِمَا لِلنُّـزُولِ، وَمَا هِيَ إِلَّا ثَوَانٍ حَتَّى كَانَ الْأَصْدِقَاءُ الْخَمْسَةُ مَعًا.

سَأَلَ «أَحْمَدُ» أَصْدِقَاءَهُ:

ـ مَاذَا سَنَلْعَبُ الْيَوْمَ؟

قَالَ «مُرَادٌ»:

ـ إِنَّهَا الِاسْتُغُمَّايَةُ.

وَرَدَّتْ «هُدَى»:

ـ بَلْ نَلْعَبُ بِالْكُرَةِ.

وَأَيَّـدَتْ «مَرْوَةُ» اقْتِـرَاحَ «هُدَى». نَظَّمَ الْأَصْدِقَاءُ الْخَمْسَـةُ حَلْقَةً، وَبَدَأَتِ الْكُرَةُ تَتَنَقَّلُ بَيْـنَ أَيْدِيهِمْ، وَهُمْ يَضْحَكُونَ، وَيَتَصَايَحُونَ بِمَرَحٍ... وَ«أَمِينٌ» مَـا زَالَ وَاقِـفًـا فِي شُـرْفَةِ مَنْزِلِهِ، يَنْظُرُ إِلَيْهِـمْ، وَيُحَاوِلُ أَنْ يُنَـادِيَ عَلَيْهِمْ بِطَرِيقَتِهِ الْخَاصَّةِ: «أ..دي.. أمد.. موة!»، فَيَضْحَكُونَ عَلَى طَرِيقَتِهِ فِي الْكَلَامِ، وَيَعُودُونَ لِلَّعِبِ مَرَّةً أُخْرَى!

وَعِنْدَمَا يَئِسَ الصَّغِيرُ مِنْ جَذْبِ انْتِبَاهِهِمْ إِلَيْهِ، بَدَأَ يَقْذِفُهُمْ بِبَعْضِ اللُّعَبِ، الَّتِي كَانَ يَلْعَبُ بِهَا! فَنَظَرَ «أَحْمَدُ» إِلَيْهِ، وَبَدَأَ يُرَدِّدُ فِي مَرَحٍ:

ـ الْعَبِيطُ مين.. الْعَبِيطُ «أَمِينٌ»!

أُعْجِبَ أَصْدِقَاؤُهُ بِمَا قَالَهُ، وَبَدَءُوا يُرَدِّدُونَ مِثْلَهُ:

ـ الْعَبِيطُ مين.. الْعَبِيطُ «أَمِينٌ»!

وَ«أَمِينٌ» يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ بِغَيْظٍ شَدِيدٍ، وَبَدَأَ يَصْرُخُ، وَيَبْكِي بِشِدَّةٍ، ثُمَّ بَصَقَ عَلَيْهِمْ، وَرَدَّدَ فِي عَصَبِيَّةٍ: وِشِ.. وِشْ (يَقْصِدُ وِحِشْ). ثُمَّ أَخَذَ يُدَبْدِبُ بِعَصَبِيَّةٍ عَلَى الْأَرْضِ، وَاحْمَرَّ وَجْهُهُ، وَهُمْ لَا يَكُفُّونَ عَنِ الضَّحِكِ، وَالِاسْتِهْزَاءِ مِنْهُ؛ لِأَنَّ لُعَابَهُ كَانَ يَسِيلُ مِنْ فَمِهِ، فِي أَثْنَاءِ صُرَاخِهِ وَبُكَائِهِ.

وَلَمْ يَتَوَقَّفِ الْأَصْدِقَاءُ الْخَمْسَةُ عَنْ تَرْدِيدِ «الْعَبِيطُ مين.. الْعَبِيطُ أَمِينٌ» إِلَّا عِنْدَمَا ظَهَرَتْ وَالِدَةُ «أَمِين»، وَبَدَأَتْ تُهَدِّئُهُ، وَتَمْسَحُ لَهُ لُعَابَهُ، وَتَسْتَرْضِيهِ.. فَهَدَأَ وَعَادَ إِلَى لَعِبِهِ مَرَّةً أُخْرَى.

كَانَ وَالِدُ «أَحْمَدَ» فِي هَذِهِ الْأَثْنَاءِ يُرَاقِبُ «أَحْمَدَ» وَأَصْدِقَاءَهُ مِنْ نَافِذَةِ غُرْفَتِهِ، وَهُوَ يَشْعُرُ بِحُزْنٍ شَدِيدٍ، وَصَمَّمَ عَلَى مُعَاقَبَةِ «أَحْمَدَ» وَ«هُدَى» عِقَابًا شَدِيدًا.

2

انْتَهَى «أَحْمَدُ» وَ«هُدَى» مِنَ اللَّعِبِ، فَوَدَّعَا أَصْدِقَاءَهُمَا، وَصَعِدَا عَلَى السُّلَّمِ وَهُمَا يُرَدِّدَانِ: «الْعَبِيطُ مين.. الْعَبِيطُ أَمِينٌ»! وَفَجْأَةً فَتَحَ وَالِدُهُمَا الْبَابَ، وَنَظَرَ إِلَى الصَّغِيرَيْنِ نَظْرَةَ غَضَبٍ! فَصَمَتَ الصَّغِيرَانِ، وَأَسْرَعَا إِلَى الْحَمَّامِ، لِغَسْلِ أَيْدِيهِمَا قَبْلَ الْعَشَاءِ، ثُمَّ دَخَلَا حُجْرَتَهُمَا فِي هُدُوءٍ لِتَغْيِيرِ مَلَابِسِهِمَا، وَهَمَسَتْ «هُدَى» فِي أُذُنِ «أَحْمَدَ»:

ـ أَبِي زَعْلَانٌ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟

وَرَدَّ «أَحْمَدُ» بِصَوْتٍ صَامِتٍ:

ـ شَكْلُهُ وَاضِحٌ جِدًّا.

فَتَسَاءَلَتْ «هُدَى»:

ـ تُرَى لِمَاذَا هُوَ غَضْبَانُ بِهَذَا الشَّكْلِ؟

ـ يَجُوزُ أَنَّنَا تَأَخَّرْنَا قَلِيلًا.

ـ لَا بَلْ هُوَ غَضْبَانُ؛ لِأَنَّنَا كُنَّا نَضْحَكُ بِصَوْتٍ عَالٍ، وَأَحْدَثْنَا إِزْعَاجًا لِجِيرَانِنَا، وَنَحْنُ صَاعِدَانِ السُّلَّمَ.

ـ بَلْ هُوَ غَضْبَانُ لِأَنَّنِي.. عَلَى الْعُمُومِ يَنْبَغِي أَنْ نَصْبِرَ، وَسَيُحَدِّثُنَا أَبِي عَنْ مُبَرِّرِ غَضَبِهِ، بَعْدَ الِانْتِهَاءِ مِنْ تَنَاوُلِ الْعَشَاءِ.

تَنَاوَلَ الصَّغِيرَانِ الطَّعَامَ فِي صَمْتٍ، وَوَالِدُهُمَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمَا فِي غَضَبٍ. وَعِنْدَمَا فَرَغَا مِنْ تَنَاوُلِ الطَّعَامِ، طَلَبَ مِنْهُمَا أَنْ يَجْلِسَا، لِيُحَدِّثَهُمَا فِي أَمْرٍ مُهِمٍّ، فَأَذْعَنَ الصَّغِيرَانِ لِوَالِدِهِمَا، وَجَلَسَا أَمَامَهُ فِي حُجْرَتِهِ، وَبَدَأَ وَالِدُهُمَا الْكَلَامَ:

ـ «أَحْمَدُ» إِنَّكَ طِفْلٌ مَوْهُوبٌ فِي الرَّسْمِ، وَتُجِيدُ الْعَزْفَ عَلَى الْأُورْجِ، وَإِنِّي أَتَنَبَّأُ لَكَ بِمُسْتَقْبَلٍ بَاهِرٍ كَفَنَّانٍ بَارِعٍ.

فَابْتَسَمَ «أَحْمَدُ» بِاعْتِزَازٍ شَدِيدٍ، وَرَدَّ فِي غُرُورٍ:

ـ شُكْرًا يَا أَبِي.

وَاسْتَطْرَدَ الْأَبُ: وَلَكِنَّكَ لَا تُحِبُّ مَادَّتَيِ الْحِسَابِ وَالْعُلُومِ، وَدَرَجَاتُكَ دَائِمًا فِيهِمَا مُنْخَفِضَةٌ بَعْضَ الشَّيْءِ.

فَأَحَسَّ «أَحْمَدُ» بِحَرَجٍ شَدِيدٍ، وَقَالَ:

ـ نَعَمْ.. نَعَمْ يَا أَبِي، وَلَكِنِّي أُحَاوِلُ، وَأَشْعُرُ بِأَنَّ قُدُرَاتِي هَكَذَا. فَمَاذَا أَفْعَلُ يَا أَبِي؟

ـ وَعَلَى الْعَكْسِ «هُدَى» مُتَفَوِّقَةٌ فِي الْحِسَابِ وَالْعُلُومِ، وَلَكِنَّهَا لَا تُجِيدُ الرَّسْمَ، وَالْعَزْفَ الْمُوسِيقِيَّ مِثْلَكَ.

فَرَدَّتْ «هُدَى»:

ـ أَنَا أَعْشَقُ حَلَّ الْمَسَائِلِ الْحِسَابِيَّةِ، وَأَسْتَمْتِعُ بِقِرَاءَةِ الْمَعْلُومَاتِ الْعِلْمِيَّةِ، وَدَائِمًا أُبَسِّطُهَا لِـ «أَحْمَدَ».

فَهَزَّ «أَحْمَدُ» رَأْسَهُ مُؤَيِّدًا كَلَامَهَا. فَاسْتَطْرَدَتْ «هُدَى»:

ـ وَ«أَحْمَدُ» يَا أَبِي يُسَاعِدُنِي عَلَى تَعَلُّمِ الرَّسْمِ، وَأَسْتَمْتِعُ كَثِيرًا بِعَزْفِهِ عَلَى الْأُورْجِ.

وَتَسَاءَلَ الْأَبُ:

ـ وَهَلْ يُوجَدُ مِنْ بَيْنِ أَصْدِقَائِكُمْ مَنْ هُوَ مُتَفَوِّقٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ: الْحِسَابِ، وَالْعُلُومِ، وَاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَالدِّرَاسَاتِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ، وَفِي مُخْتَلِفِ الْهِوَايَاتِ أَيْضًا؟

فَرَدَّ «أَحْمَدُ»:

ـ قِلَّةٌ يَا أَبِي.

ابْتَسَمَ الْأَبُ وَرَبَّتَ عَلَى كَتِفِ «أَحْمَدَ»، ثُمَّ قَالَ:

ـ إِذَنْ لَا يُوجَدُ إِنْسَانٌ كَامِلٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ. وَالشَّائِعُ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ تَفَاوُتٌ فِي قُدُرَاتِ كُلِّ إِنْسَانٍ؛ فَمَنْ يَتَمَتَّعُ بِحِسٍّ أَدَبِيٍّ كَالشَّاعِرِ وَالْأَدِيبِ مَثَلًا، قَدْ لَا يُجِيدُ حَلَّ الْمُشْكِلَاتِ الرِّيَاضِيَّةِ. تَمَامًا مِثْلُكَ يَا «أَحْمَدُ». وَهَذَا التَّفَاوُتُ فِي قُدُرَاتِ الْإِنْسَانِ يَكُونُ ضَرُورِيًّا لِلتَّمَيُّزِ، وَالتَّفَرُّدِ بَيْنَ الْبَشَرِ، كَمَا أَنَّهُ يَكُونُ ضَرُورَةً إِنْسَانِيَّةً؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كُلُّ إِنْسَانٍ مُتَمَيِّزًا فِي كُلِّ شَيْءٍ، فَلَنْ يَحْتَاجَ إِلَى الْآخَرِينَ، وَلَنْ يَكُونَ هُنَاكَ تَعَاوُنٌ، وَلَا مُشَارَكَةٌ، وَلَا أَيَّةُ حَيَاةٍ

اجْتِمَاعِيَّةٍ. وَأُسْـرَتُنَا خَيْرُ مِثَـالٍ يُوَضِّحُ لَكُمَا مَغْـزَى كَلَامِي: أُمُّكَ تُجِيدُ إِعْـدَادَ الطَّعَامِ، وَحِيَاكَـةَ الْمَلَابِسِ، كَمَا أَنَّهَـا تَتَحَدَّثُ اللُّغَـةَ الْإِنْجِلِيزِيَّةَ بِطَلَاقَـةٍ، وَتُجِيـدُ تَدْرِيسَ الدِّرَاسَـاتِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ لَكُمَـا، وَلَكِنَّهَا لَا تُحِبُّ الرِّيَاضِيَّاتِ. أَمَّا أَنَا فَأُجِيدُ قِيَادَةَ السَّـيَّارَةِ، وَتَصْلِيحَ الْأَجْهِزَةِ الْكَهْرَبَائِيَّةِ، وَأَعْشَقُ الرِّيَاضِيَّاتِ وَالْعُلُومَ، وَلَكِنِّي أَجِدُ صُعُوبَةً شَدِيدَةً فِي فَهْمِ الظَّوَاهِرِ الْجُغْرَافِيَّـةِ، وَ«هُـدَى» مِثْـلِي تَعْشَـقُ الْعُلُـومَ وَالرِّيَاضِيَّـاتِ، وَتَنْقُلُ لَنَا بِاسْتِمْرَارٍ أَحْدَثَ الْمَعْلُومَاتِ الْعِلْمِيَّةِ الَّتِي تَقْرَؤُهَا، وَلَكِنَّهَا لَيْسَتْ مُتَمَيِّزَةً فِي الرَّسْـمِ. وَأَنْـتَ فَنَّانٌ صَغِيرٌ تُزَيِّنُ لَنَا شَـقَّتَنَا بِكُلِّ اللَّوْحَـاتِ الْجَمِيلَةِ، وَتُمْتِعُنَا بِعَزْفِكَ، وَلَكِنَّ حَلَّ الْمَسَائِلِ الرِّيَاضِيَّةِ يُسَبِّبُ لَكَ إِزْعَاجًا شَدِيدًا.. إِذَنْ هُنَـاكَ تَفَاوُتٌ فِي قُدُرَاتِ الْإِنْسَـانِ الْوَاحِدِ، وَتَفَـاوُتٌ كَذَلِكَ فِي قُدُرَاتِ مَخْتَلِفِ الْأَفْرَادِ.. أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟

فَرَدَّدَ الصَّغِيرَانِ:

ـ نَعَمْ.. نَعَمْ يَا أَبِي.

فَقَالَ الْأَبُ:

ـ وَهَـلْ حَدَثَ يَوْمًا أَنِ اتَّهَمْتُكَ يَا «أَحْمَدُ» بِأَنَّكَ «مُتَخَلِّفٌ» أَوْ «عَبِيطٌ»؛ لِأَنَّكَ تَسْتَغْرِقُ وَقْتًا طَوِيلًا فِي حَلِّهَا، بِالْمُقَارَنَةِ بِأُخْتِكَ «هُدَى»؟!

فَفَهِمَ «أَحْمَدُ» مَا أَرَادَ وَالِدُهُ أَنْ يُعَاقِبَهُ عَلَيْهِ، فَأَطْرَقَ رَأْسَـهُ خَجَلًا، وَعَادَ الْأَبُ يَسْتَكْمِلُ حَـدِيثَهُ:

ـ وَأَنْـتِ يَا «هُدَى».. هَـلْ أَطْلَقْنَا عَلَيْكِ يَوْمًا لَفْظَ «عَبِيطَـةٍ» أَوْ «مُتَخَلِّفَةٍ»؛ لِأَنَّكِ عَجَزْتِ عَنْ تَعَلُّمِ الْعَزْفِ عَلَى الْأُورْجِ كَـ «أَحْمَدَ»، أَوْ لِأَنَّكِ لَا تُجِيدِينَ الرَّسْمَ، رَغْمَ مُحَاوَلَاتِ «أَحْمَدَ» لِتَعْلِيمِكِ إِيَّاهُ؟

فَاحْمَرَّ وَجْهُ «هُدَى» خَجَلًا، وَقَالَتْ:

ـ لَا.. لَا لَمْ يَحْدُثْ يَا أَبِي.

فَاسْتَطْرَدَ الْأَبُ:

ـ إِذَنْ لِمَاذَا تَسْخَرَانِ مِنْ «أَمِينٍ»، وَتُطْلِقَانِ عَلَيْهِ «الْمُتَخَلِّفَ» وَ«الْعَبِيطَ»؟!

فَصَمَتَ الصَّغِيرَانِ وَهُمَا يُقَاوِمَانِ الضَّحِكَ. فَغَضِبَ الْأَبُ وَقَالَ لَهُمَا:

ـ أُرِيدُ مِنْكُمَا إِجَابَةً وَاضِحَةً.. إِذَا كَانَ كَلَامِي السَّابِقُ مُقْنِعًا عَنْ فِكْرَةِ التَّفَاوُتِ فِي الْقُدُرَاتِ.. فَلِمَاذَا تَسْخَرَانِ إِذَنْ مِنْ «أَمِينٍ»؟

أَجَابَتْ «هُدَى»:

ـ الْمَوْقِفُ مُخْتَلِفٌ يَا أَبِي، فَكُلٌّ مِنَّا لَدَيْهِ جَوَانِبُ قُوَّةٍ، وَجَوَانِبُ ضَعْفٍ.. أَمَّا «أَمِينٌ» يَا أَبِي فَلَا يُتْقِنُ شَيْئًا عَلَى الْإِطْلَاقِ.. إِنَّ تَصَرُّفَاتِهِ كُلَّهَا تَبْدُو كَتَصَرُّفَاتِ طِفْلٍ أَصْغَرَ مِنْ سِنِّهِ، كَمَا أَنَّهُ يَنْطِقُ الْكَلِمَاتِ بِطَرِيقَةٍ مُضْحِكَةٍ.. بِصَرَاحَةٍ يَا أَبِي «أَمِينٌ» مُتَخَلِّفٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ.. فَكَيْفَ نُطَبِّقُ فِكْرَةَ حَضْرَتِكَ عَنْ عَدَمِ الْكَمَالِ هُنَا؟!

وَاسْتَكْمَلَ «أَحْمَدُ» الْحَدِيثَ:

ـ فِي الْحَقِيقَةِ يَا أَبِي أَنَا أَوَدُّ أَنْ أَعْتَذِرَ عَنْ سُوءِ سُلُوكِنَا مَعَ «أَمِينٍ»، لِمُبَرِّرٍ وَاحِدٍ فَقَطْ هُوَ أَنَّ سُلُوكَنَا لَا يَتَّفِقُ مَعَ الْمَبَادِئِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَيُخَالِفُ مَا أَمَرَنَا اللَّهُ بِهِ. لَقَدْ دَرَسْتُ هَذَا الْعَامَ فِي التَّرْبِيَةِ الدِّينِيَّةِ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَسْخَرَ مِنْ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يَكُونُ خَيْرًا مِنْهُ عِنْدَ اللَّهِ، كَمَا أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ نَتَنَابَزَ بِالْأَلْقَابِ، أَيْ نُطْلِقَ أَلْفَاظًا مَكْرُوهَةً عَلَى غَيْرِنَا، وَنَحْنُ الْيَوْمَ سَخِرْنَا مِنْ «أَمِينٍ»، وَأَطْلَقْنَا عَلَيْهِ لَفْظَيْنِ سَخِيفَيْنِ، فَأَنْتَ مُحِقٌّ يَا أَبِي فِي غَضَبِكَ مِنَّا، وَسَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْيَوْمَ بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ، عَلَى سُلُوكِي

هَذَا، وَسَـأَطْلُبُ مِـنْ أَصْدِقَائِنَا غَدًا أَنْ يَكُفُّوا عَنِ السُّـخْرِيَةِ مِنْ «أَمِينٍ»..
لَكِنَّنِي أَوَدُّ أَنْ أَقُولَ شَيْئًا آخَرَ يَا أَبِي وَأَخْشَى أَنْ تَغْضَبَ مِنِّي!

ابْتَسَمَ الْأَبُ وَقَالَ:

ـ أَنَا سَعِيدٌ جِدًّا؛ لِأَنَّكَ عَرَفْتَ خَطَأَكَ، وَقُلْ مَا تُرِيدُ يَا «أَحْمَدُ».

فَقَالَ «أَحْمَدُ»:

ـ اسْمَحْ لِي يَا أَبِي أَنْ أُعْلِنَ اعْتِرَاضِي عَلَى تَطْبِيقِ فِكْرَةِ عَدَمِ الْكَمَالِ هُنَا عَلَى «أَمِيـنٍ». أَعْتَرِفُ أَنِّي مُخْطِئٌ أَنَا وَأَصْدِقَائِي، لَكِنَّ «أَمِينًا» مُتَخَلِّفٌ عَقْلِيًّا، لَيْـسَ لَدَيْـهِ أَيُّ تَمَيُّزٍ فِي أَيَّةِ قُدْرَةٍ، وَلَا يَصْلُـحُ لِأَدَاءِ أَيِّ عَمَلٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ. سَأَتَعَهَّدُ أَنَا وَ«هُدَى» مُنْذُ الْآنَ أَنْ نَتْرُكَ «أَمِينًا» لِحَالِهِ، وَسَنَتَجَاهَلُهُ تَمَامًا مَهْمَا فَعَلَ، مَعَ تَسْلِيمِنَا أَنَّهُ مُتَخَلِّفٌ، وَلَا يُتْقِنُ شَيْئًا عَلَى الْإِطْلَاقِ.

فَرَدَّ الْأَبُ:

ـ تَوَقُّفُـكَ عَنْ إِيذَاءِ مَشَـاعِرِ «أَمِينٍ»، هَـذَا جُزْءٌ مِنَ الْمَطْلُـوبِ مِنْكَ، وَلَكِنَّ هُنَاكَ شَيْئًا آخَرَ يَنْبَغِي عَلَيْكَ فِعْلُهُ، إِذَا كُنْتَ تَوَدُّ أَنْ تُبَرْهِنَ عَلَى نَدَمِكَ عَلَى سُلُوكِكَ السَّخِيفِ مَعَهُ.

ـ فَتَسَاءَلَ «أَحْمَدُ»:

ـ وَمَا هُوَ الشَّيْءُ الْآخَرُ الَّذِي يَنْبَغِي عَلَيَّ فِعْلُهُ؟

ـ فَرَدَّ الْأَبُ:

ـ أَنْ تُصَادِقَ «أَمِينًا»!

فَتَحَتْ «هُدَى» فَمَهَا مُتَعَجِّبَةً، وَنَظَرَ «أَحْمَدُ» مُسْتَنْكِرًا، ثُمَّ تَسَاءَلَ:

ـ وَعَدْتُـكَ يَا أَبِي أَنْ أَتَجَاهَلَهُ تَمَامًا، هُوَ فِي حَالِـهِ، وَنَحْنُ فِي حَالِنَا؛ حَتَّى لَا نُغْضِبَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ. أَمَّا مَسْأَلَةُ مُصَادَقَتِهِ فَمَا مُبَرِّرُهَا إِذَنْ؟!

- هُنَـاكَ مُبَـرِّرَانِ لِطَلَبِي هَذَا؛ أَوَّلًا: لِأَنَّهُ إِنْسَـانٌ مِثْلُكَ، مِـنْ حَقِّهِ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَصْدِقَاءُ يُحِبُّونَـهُ، وَيُحِبُّهُمْ، وَيَلْعَبُ مَعَهُـمْ، وَيَلْعَبُونَ مَعَهُ، وَيَتَحَدَّثُ إِلَيْهِمْ، وَيَشْكُو إِلَيْهِمْ مَا يُضَايِقُهُ، مِثْلَمَا تَفْعَلُ أَنْتَ وَأُخْتُكَ يَا وَلَدِي.
- نَعَـمْ يَا أَبِي مِنْ حَقِّهِ أَنْ يَكُونَ لَـهُ أَصْدِقَاءُ، وَلَكِنْ مِنَ الْأَفْضَلِ أَنْ يَكُونُوا مِثْلَهُ؛ مُتَخَلِّفِينَ مِثْلَهُ؛ لِكَيْ يَسْـهُلَ عَلَيْهِمُ التَّعَامُلُ مَعَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا! أَمَّا نَحْنُ فَمَا حَاجَتُنَا إِلَى صَدَاقَتِهِ؟!

قَالَ الْأَبُ:

- أَنْـتَ يَا «أَحْمَدُ» لَمْ تَنْتَظِرْ حَتَّى أُكْمِلَ كَلَامِـي، أَنَا قُلْتُ إِنَّ هُنَاكَ مُبَرِّرَيْنِ وَذَكَـرْتُ الْمُبَرِّرَ الْأَوَّلَ. أَمَّا الْمُبَـرِّرُ الثَّانِي فَهُوَ أَنَّكَ وَ«هُدَى» فِي حَاجَةٍ إِلَى الِاقْتِرَابِ مِنْ «أَمِينٍ» قَدْرَ حَاجَتِهِ إِلَيْكُمَا.

فَتَعَجَّبَ الصَّغِيرَانِ وَرَدَّدَا مَعًا:

- نَحْنُ فِي حَاجَةٍ إِلَيْهِ! نَحْنُ لَسْنَا فِي حَاجَةٍ إِلَيْهِ يَا أَبِي، فَنَحْنُ لَدَيْنَا أَصْدِقَاؤُنَا مِنَ الْأَسْوِيَاءِ، فَمَا حَاجَتُنَا إِلَيْهِ؟!
- «أَمِينٌ» فِي حَاجَـةٍ إِلَيْكُمَا لِيَتَعَلَّـمَ مِنْكُمَا عَدَدًا مِنَ الْمَهَـارَاتِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ، الَّتِي تَجْعَلُهُ أَكْثَرَ كَفَاءَةً فِي التَّعَامُلِ مَعَ الْآخَرِينَ، كَمَا أَنَّ كَلَامَهُ سَيَتَحَسَّنُ، وَسَيَكْتَسِـبُ مِنْ خِـلَالِ تَفَاعُلِهِ مَعَكُمَا كَلِمَاتٍ أَكْثَرَ، يُعَبِّرُ بِهَا عَنْ نَفْسِـهِ، وَلِهَذَا لَجَأَتْ بَعْضُ مَدَارِسِ الْأَطْفَالِ الْعَادِيِّينَ إِلَى فَتْحِ فُصُولٍ خَاصَّةٍ بِهَؤُلَاءِ الْأَطْفَالِ بِهَا، وَلَعَلَّكُمْ سَـمِعْتُمْ عَنْ «تَجْرِبَةِ الْإِدْمَاجِ»، وَالْمَقْصُودُ بِهَا وَضْعُ هَـؤُلَاءِ الْأَطْفَالِ فِي مَدَارِسِ الْأَطْفَـالِ الْعَادِيِّينَ، وَدَمْجُهُمْ مَعَهُمْ لِتَتَحَسَّـنَ كَفَاءَتُهُـمْ. هَذَا عَنْ حَاجَةِ «أَمِيـنٍ» إِلَيْكُمَا. أَمَّا حَاجَتُكُمَـا أَنْتُمَا لِمُصَادَقَةِ «أَمِينٍ» فَهِيَ حَاجَةٌ إِنْسَانِيَّةٌ. أَنْتُمْ يَا أَوْلَادِي وَأَصْدِقَاؤُكُمْ، فِي حَاجَةٍ لِلشُّعُورِ

بِهَؤُلَاءِ الْأَطْفَالِ، وَتَفَهُّمِ حَاجَاتِهِمْ، وَاحْتِرَامِ ضَعْفِهِمْ؛ لِتُسْعِدُوهُمْ، وَتَسْعَدُوا بِإِسْعَادِهِمْ. وَهَذَا شُعُورٌ جَمِيلٌ نَشْعُرُ بِهِ دَائِمًا عِنْدَمَا نَتَفَهَّمُ احْتِيَاجَاتِ الْأَفْرَادِ الْأَضْعَفِ مِنَّا، وَنَتَقَبَّلُهُمْ وَنَسْتَشْعِرُ آلَامَهُمْ وَنُسَاعِدُهُمْ. مِنَ الظُّلْمِ يَا أَوْلَادِي أَنْ نَحْكُمَ عَلَى «أَمِينٍ» وَأَمْثَالِهِ مِنَ الْأَطْفَالِ الْمُعَاقِينَ؛ بِأَنْ تَقْتَصِرَ صَدَاقَاتُهُمْ عَلَى أَطْفَالٍ فِي مِثْلِ حَالَتِهِمْ، وَنَحْرِمَهُمْ صَدَاقَةَ أَمْثَالِكُمْ، كَأَنَّهُمْ حَيَوَانَاتٌ جَرْبَاءُ، يَنْبَغِي عَلَيْنَا عَزْلُهَا، حَتَّى لَا تُصِيبَنَا الْعَدْوَى! فَهَلْ تُطِيعَانِ وَالِدَكُمَا الْحَبِيبَ وَتُصَادِقَانِ «أَمِينًا»؟

- هَذَا صَعْبٌ يَا أَبِي! سَيَضْحَكُ الْجَمِيعُ عَلَيْنَا، كَمَا أَنَّنَا لَوْ نَفَّذْنَا طَلَبَ حَضْرَتِكَ، وَجَعَلْنَا «أَمِينًا» صَدِيقًا لَنَا، فَسَيَكُونُ مِنَ الصَّعْبِ عَلَيْنَا التَّعَامُلُ مَعَهُ؟

- لَنْ يَكُونَ مِنَ الصَّعْبِ يَا وَلَدِي، إِذَا كُنْتَ صَادِقًا وَجَادًّا فِي نِيَّتِكَ. وَتَذَكَّرْ أَنَّ أَجْرَكَ سَيَكُونُ كَبِيرًا عِنْدَ اللَّهِ، إِنْ أَنْتَ سَاعَدْتَ هَذَا الطِّفْلَ الْبَائِسَ.. تَخَيَّلْ يَا «أَحْمَدُ» لَوْ كُنْتَ مَكَانَهُ؛ وَقْتُكَ كُلُّهُ تَقْضِيهِ فِي شُرْفَةِ مَنْزِلِكَ، تَجْلِسُ طَوِيلًا وَبِالسَّاعَاتِ.. تَلْعَبُ وَحْدَكَ، وَنَادِرًا مَا تَخْرُجُ، مَاذَا كَانَ سَيَحْدُثُ لَكَ؟!

رَدَّ «أَحْمَدُ» دُونَ تَرَدُّدٍ:

- كُنْتُ سَأَكُونُ أَتْعَسَ طِفْلٍ يَا أَبِي.

- إِذَنْ حَاوِلْ أَنْ تُحِبَّ «أَمِينًا»، وَحَاوِلْ أَنْتَ وَأُخْتُكَ إِقْنَاعَ أَصْدِقَائِكُمَا بِأَهَمِّيَّةِ مُصَادَقَتِهِ.

- وَلَكِنْ هُنَاكَ مَسْأَلَةٌ تُقْلِقُنِي يَا أَبِي؛ «أَمِينٌ» يَكُونُ عَنِيفًا أَحْيَانًا وَعَصَبِيًّا، وَعِنْدَمَا لَا تَفْعَلُ لَهُ مَا يُرِيدُ يَثُورُ، وَيَبْصُقُ، كَمَا أَنَّ أَنْفَهُ يَسِيلُ دَائِمًا! وَأَنَا بِصَرَاحَةٍ أَشْعُرُ أَحْيَانًا بِالِاشْمِئْزَازِ مِنْهُ!

- «أَمِيـنٌ» عَصَبِيٌّ وَعَنِيفٌ يَا بُنَيَّ؛ لِأَنَّهُ مُقَيَّـدٌ، وَمَحْرُومٌ مِنْ حَقِّهِ الطَّبِيعِيِّ فِي اللَّعِبِ وَالْحَرَكَةِ، وَمُمَارَسَـةِ الْحَيَاةِ الطَّبِيعِيَّةِ لِأَيِّ طِفْلٍ فِي مِثْلِ سِـنِّهِ. الْحَيَوَانُ يَا «أَحْمَدُ» لَوْ قَـيَّدْتَ حَرَكَتَهُ يَثُورُ وَيَهِيجُ، وَقَدْ يَفْتَرِسُكَ، فَمَا بَالُكَ بِالْإِنْسَانِ؟ أَمَّا مَسْأَلَةُ سَيَلَانِ أَنْفِهِ فَقَدْ يَكُونُ لَهَا حَلٌّ عِنْدَ الْإِخْصَائِيِّينَ.
- أَعِدُكَ يَا أَبِي، وَلَكِنْ مَاذَا أَفْعَلُ مَعَ أَصْدِقَائِي؟
- أَصْدِقَاؤُكَ عَلَيْكَ إِقْنَاعُهُمْ بِمَا اقْتَنَعْتَ أَنْتَ بِهِ. قُلْ لَهُمْ: إِنَّ هَدَفَكَ الْأَسَاسِيَّ هُوَ إِرْضَاءُ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنَا وَاثِقٌ بِأَنَّ أَصْدِقَاءَكَ سَيَقْتَنِعُونَ بِكَلَامِكَ.

وَتَسَاءَلَتْ «هُدَى»:

- وَمَـاذَا عَنْ وَالِدَةِ «أَمِينٍ».. قَـدْ تَرْفُضُ أَنْ يَنْزِلَ ابْنُهَـا لِلَّعِبِ مَعَنَا؟ فَهِيَ سَيِّدَةٌ غَرِيبَةٌ كَابْنِهَا.. صَامِتَةٌ دَائِمًا لَا تَتَحَدَّثُ مَعَ أَحَدٍ مِنَ الْجِيرَانِ، فَهِيَ صَعْبَةٌ جِدًّا يَا أَبِي.
- اتْرُكِي لِي وَالِدَةَ «أَمِينٍ»، أَنَا وَأُمُّكِ سَنُقْنِعُهَا، وَعِنْدَمَا تَنْزِلَانِ غَدًا سَتَجِدَانِ «أَمِينًا» فِي انْتِظَارِكُمَا فِي الشُّرْفَةِ.

3

انْتَهَى «أَحْمَدُ» وَ«هُدَى» مِنْ أَدَاءِ صَلَاةِ الْعِشَـاءِ، وَجَلَسَا مَعًا يَسْتَغْفِرَانِ اللَّهَ، عَلَى سُـخْرِيَتِهِمَا مِنْ «أَمِينٍ»، وَقَرَّرَا أَنْ يَفْعَلَا كُلَّ مَا بِوُسْعِهِمَا لِإِسْعَادِ «أَمِينٍ» وَمُسَاعَدَتِهِ، كَنَوْعٍ مِنَ الِاعْتِذَارِ الْعَمَلِيِّ عَمَّا بَدَرَ مِنْهُمَا.

وَفِي الصَّبَاحِ اتَّصَلَ «أَحْمَدُ» بِـ«مُرَادٍ»، وَأَقْنَعَهُ بِمُصَادَقَةِ «أَمِينٍ»، وَفَعَلَتْ «هُدَى» الشَّيْءَ نَفْسَهُ مَعَ «مَيَّ» وَ«مَرْوَةَ».

وَفِي مَسَاءِ الْيَوْمِ التَّالِي، انْطَلَقَتْ صَفَّارَةُ «مُرَادٍ»، فَأَسْرَعَ «أَحْمَدُ» وَ«هُدَى» بِالنُّـزُولِ، فَوَجَدَا «أَمِينًا» وَاقِفًا عَلَى بَابِ شَـقَّتِهِ مُمْسِـكًا بِيَـدِ وَالِدَتِهِ.. كَانَ «أَحْمَـدُ» قَدْ أَحْضَرَ لَهُ بَالُونَاتٍ مُلَوَّنَةً، وَبَعْضَ الْحَلْوَى، وَرَبَّتَتْ «هُدَى» عَلَى كَتِفِ «أَمِينٍ»، وَقَدَّمَ «أَحْمَدُ» الْبَالُونَاتِ وَالْحَلْوَى لَهُ. لَاحَظَ «أَحْمَدُ» وَ«هُدَى» أَنَّ وَالِدَةَ «أَمِينٍ» تَبْتَسِمُ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ!

فِي الْبِدَايَةِ كَانَ «أَمِينٌ» مُمَانِعًا، وَلَكِنَّهُ سُـرْعَانَ مَا اسْـتَجَابَ لِـ «أَحْمَدَ»، وَانْطَلَقَ مَعَهُ مُسْرِعًا إِلَى حَدِيقَةِ الْعِمَارَةِ.

جَلَـسَ الْأَصْدِقَاءُ الْخَمْسَـةُ عَلَى النَّجِيـلِ الْأَخْضَرِ، فِي حَيْرَةٍ شَـدِيدَةٍ، وَفِي دَاخِلِ رَأْسِ كُلٍّ مِنْهُمْ سُـؤَالٌ مُحَدَّدٌ: مَاذَا نَفْعَلُ؟ وَ«أَمِينٌ» بِجَانِبِهِمْ يَجْلِسُ وَدِيعًا. الْجَمِيعُ تَعَاطَفَ مَعَ «أَمِينٍ»، وَأَصْبَحَ كُلٌّ مِنْهُمْ مُقْتَنِعًا بِأَنَّ مِنْ حَقِّهِ كَإِنْسَانٍ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَصْدِقَاءُ يَلْعَبُ مَعَهُمْ، وَيَلْعَبُونَ مَعَهُ، لَكِنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ كَيْفَ يَتَصَرَّفُونَ مَعَ «أَمِينٍ»! مَا الَّذِي يُمْكِنُهُمْ لَعِبُهُ مَعَهُ، وَهَلْ سَـيَفْهَمُهُمْ؟ أَمْ أَنَّ وُجُودَهُ مَعَهُمْ سَـيَكُونُ مُعَوِّقًا لَهُمْ؟ وَ«أَمِينٌ» مَا زَالَ جَالِسًـا بَيْنَهُمْ، يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ نَظَرَاتٍ شَدِيدَةَ الْبَرَاءَةِ. وَأَخِيرًا قَالَ «أَحْمَدُ» لِأَصْدِقَائِهِ:

ـ بِالتَّأْكِيدِ يَنْبَغِي أَنْ نَفْعَلَ شَـيْئًا.. إِنَّنَا لَمْ نُخْرِجْهُ مِنْ مَنْزِلِهِ لِنُجْلِسَـهُ هُنَا صَامِتًا هَكَذَا!

رَدَّ «مُرَادٌ»:

ـ وَلَكِنْ مَاذَا نَفْعَلُ يَا «أَحْمَدُ»؟ أَنَا فِعْلًا مُحْتَارٌ.

وَأَكْمَلَتْ «مَرْوَةُ»:

ـ وَأَنَا أَحْبَبْتُهُ أَيْضًا مِثْلَكُمَا، وَأَشْـعُرُ بِالْخَجَلِ الشَّدِيدِ مِنْ نَفْسِي لِمَا فَعَلْنَاهُ أَمْسِ. وَلَكِنَّنِي أَيْضًا لَا أَعْرِفُ كَيْفَ أَتَعَامَلُ مَعَهُ؟

قَالَ «أَحْمَدُ»:

ـ يُمْكِنُنَا الْآنَ أَنْ نَفْعَلَ شَيْئًا بَسِيطًا قَدْ يُسْعِدُهُ.. أَتَدْرُونَ مَا هُوَ؟ نَنْفُخُ الْبَالُونَاتِ، وَنَلْعَبُ مَعَهُ بِهَا.

أَيَّدَ الْأَصْدِقَاءُ فِكْرَةَ «أَحْمَدَ»، فَأَخَذَ كُلٌّ مِنْهُمْ بَالُونًا، وَبَدَأَ فِي نَفْخِهَا، فَتَهَلَّلَ وَجْهُ «أَمِينٍ»، وَصَاحَ فِي سَعَادَةٍ: لُونَهْ.. لُونَهْ.. هِيهْ.. هِيهْ.

وَبَدَأَ يَضْحَكُ ضَحِكَاتٍ عَالِيَةً بَرِيئَةً، وَلِأَنَّ الضَّحِكَ مُعْدٍ، فَقَدِ انْطَلَقَ الْأَصْدِقَاءُ الْخَمْسَةُ يَضْحَكُونَ لِضَحِكِهِ، وَيَتَقَاذَفُونَ الْبَالُونَاتِ الَّتِي تَطَايَرَتْ فِي الْهَوَاءِ، وَ«أَمِينٌ» يُلَاحِقُهَا سَعِيدًا، وَانْتَهَى الْوَقْتُ الْمُخَصَّصُ لِلَّعِبِ، وَأَوْصَلَ الْأَصْدِقَاءُ «أَمِينًا» إِلَى مَنْزِلِهِ، وَوَعَدُوهُ أَنْ يَصْطَحِبُوهُ غَدًا، لِيَلْعَبَ مَعَهُمْ، فَشَكَرَتْهُمْ وَالِدَتُهُ، وَلِأَوَّلِ مَرَّةٍ شَعَرَ الْجَمِيعُ بِالتَّعَاطُفِ الشَّدِيدِ تِجَاهَ وَالِدَةِ «أَمِينٍ»، يَبْدُو فِعْلًا أَنَّهَا سَيِّدَةٌ طَيِّبَةٌ جِدًّا كَابْنِهَا، فَهِيَ بَدَتِ الْيَوْمَ مُبْتَسِمَةً هَادِئَةً.. قَبَّلَتْ كُلًّا مِنْهُمْ، وَشَكَرَتْهُمْ عَلَى صَبْرِهِمْ عَلَى «أَمِينٍ»، وَوَدَّعَتْهُمْ وَهِيَ تَدْعُو لَهُمْ: «جَزَاكُمُ اللَّهُ خَيْرًا».

أَحَسَّ كُلٌّ مِنْهُمْ بِفَرْحَةٍ غَامِرَةٍ تَشِيعُ فِي نَفْسِهِ.. حَقًّا مَا أَجْمَلَ أَنْ تُسَاعِدَ إِنْسَانًا يَكُونُ فِي احْتِيَاجٍ إِلَى مُسَاعَدَتِكَ! وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَسْئِلَةِ مَا زَالَتْ تَتَصَارَعُ فِي رَأْسِ كُلٍّ مِنْهُمْ: مَاذَا نَفْعَلُ مَعَ «أَمِينٍ»؟ وَلِمَنْ نَلْجَأُ؟ وَهَلْ يُمْكِنُ أَنْ نَنْجَحَ، وَيُصْبِحَ «أَمِينٌ» طِفْلًا عَادِيًّا مِثْلَنَا؟

تُرَى أَصْدِقَائِي الْأَعِزَّاءَ: هَلْ سَيَنْجَحُ الْأَصْدِقَاءُ الْخَمْسَةُ فِي مُسَاعَدَةِ «أَمِينٍ»؟ وَهَلْ سَيَجِدُونَ مَنْ يُسَاعِدُهُمْ فِي مُهِمَّتِهِمُ الْإِنْسَانِيَّةِ هَذِهِ؟ وَهَلْ سَيَتَجَاوَبُ «أَمِينٌ» مَعَهُمْ أَمْ سَتَعُودُ إِلَيْهِ نَوْبَاتُ الْغَضَبِ وَالْعُنْفِ مَرَّةً أُخْرَى؟

الْفَصْلُ الثَّانِي

«أَمِينٌ» فَنَّانٌ

1

اعْـتَـــادَ «أَمِينٌ» انْتِظَارَ «أَحْمَـدَ» وَ«هُدَى» كُلَّ يَـوْمٍ ؛ لِيَجْـلِسَ مَعَهُمَا فِي الْحَدِيقَــةِ الْمُوَاجِهَــةِ لِلْعِمَــارَةِ، لِيَلْعَبُوا جَمِيعًا، وَمَعَهُمْ «مَـرْوَةُ» وَ«مَيُّ» وَ«مُــرَادٌ».. فَمَاذَا يَلْعَبُونَ؟! هَذَا سُــؤَالٌ ظَلَّ يُحَيِّرُ الْأَصْدِقَاءَ الْخَمْسَــةَ، عَلَى مَدَى الْأَيَّامِ الْقَلِيلَةِ الْمَاضِيَةِ. وَكُلَّ يَوْمٍ يَبْتَدِعُونَ لُعْبَةً تُنَاسِبُ حَالَةَ «أَمِينٍ».

بَدَأَ الْأَصْدِقَاءُ يَشْعُرُونَ بِحَيْرَةٍ شَدِيدَةٍ. وُجُودُ «أَمِينٍ» بَيْنَهُمْ أَصْبَحَ مُعَوِّقًا لِحَرَكَتِهِــمْ، وَلَكِنَّهُمْ عَاهَدُوا أَنْفُسَــهُمْ أَلَّا يَتَخَلَّوْا عَنْهُ، خَاصَّةً بَعْدَ أَنْ أَحَبُّوهُ، وَتَفَجَّــرَتْ يَنَابِيعُ الرَّحْمَةِ وَالتَّعَاطُفِ دَاخِلَ قُلُوبِهِمُ الصَّغِيرَةِ؛ فَهُمْ فِي حَيْرَةٍ مِنْ أَمْرِهِــمْ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ تَخُصُّ «أَمِينًا»، وَلَا يَعْرِفُــونَ لِمَنْ يَلْجَأُونَ، لَكِنَّ الشَّــيْءَ الْوَحِيدَ الْوَاضِحَ فِي أَذْهَانِهِمْ؛ هُوَ أَنَّهُــمْ يُحِبُّونَ هَذَا الطِّفْلَ، وَلَدَيْهِمُ اسْتِعْدَادٌ لِبَذْلِ كُلِّ مَا بِوُسْعِهِمْ لِإِسْعَادِهِ.

فِي تِلْكَ الْأُمْسِــيَةِ؛ جَلَسَ الْأَصْدِقَاءُ الْخَمْسَةُ عَلَى النَّجِيلِ الْأَخْضَرِ، وَ«أَمِينٌ» بِجَانِبِهِمْ يُدَاعِبُ دَبْدُوبَهُ الْمُفَضَّلَ «بُونُو». وَبَدَأَ «أَحْمَدُ» الْكَلَامَ:

ـ يُهَيَّـأُ لِي أَنَّنَا يَنْبَغِي عَلَيْنَا التَّوَقُّفُ عَنِ التَّفْكِيرِ فِي مُشْـكِلَةِ «أَمِينٍ» مُؤَقَّتًا، وَأَنْ نَبْدَأَ فِي التَّخْطِيطِ لِمَشْرُوعِ تَجْمِيلِ الشَّارِعِ.

رَدَّ «مُرَادٌ»:

ـ عِنْدَكَ حَقٌّ يَا «أَحْمَدُ».. أَنَا عَنْ نَفْسِـي سَأَحْزَنُ كَثِيرًا، إِذَا لَمْ يَفُزْ شَارِعُنَا فِي مُسَابَقَةِ «شَارِعٌ نَظِيفٌ لِي وَلَكَ» الَّتِي يُنَظِّمُهَا رَئِيسُ الْحَيِّ.

وَاسْتَطْرَدَتْ «هُدَى»:

ـ إِذَنْ تَعَالَوْا لِنُفَكِّرَ مَعًا، فِيمَا يَنْبَغِي عَلَيْنَا فِعْلُهُ، فَبَدَلًا مِنَ الْكَلَامِ؛ تَحَرَّكُوا لِنَفْعَلَ شَيْئًا مِنْ أَجْلِ شَارِعِنَا الْعَزِيزِ.

فَقَالَتْ «مَيُّ»:

ـ نَبْـدَأُ أَوَّلًا بِتَوْعِيَةِ الْأَطْفَالِ الصِّغَارِ بِالشَّـارِعِ، وَنُعَلِّمُهُـمْ أَلَّا يُلْقُوا بِأَغْلِفَةِ الْبَسْكَوِيتِ، وَالْبُونْبُونِ مِنَ النَّوَافِذِ، وَكَذَلِكَ قِشْرُ الْفَاكِهَةِ؛ فَقَدْ لَاحَظْتُ أَنَّ كَثِيرِينَ مِنْهُمْ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ.

رَدَّتْ «مَرْوَةُ»:

ـ دَعُـوا هَذِهِ الْمُهِمَّـةَ لِي.. فَمُعْظَمُ الْأَطْفَالِ الصِّغَارِ فِي الشَّـارِعِ يُحِبُّونَنِي، وَسَيَسْـمَعُونَ كَلَامِي. سَـأَمُرُّ غَدًا عَلَى أُسْـرَةِ كُلِّ طِفْلٍ مِنْهُـمْ، وَأُفْهِمُهُمْ خُطُورَةَ هَذِهِ الْعَادَةِ الرَّذِيلَةِ.

وَتَسَاءَلَ «مُرَادٌ»:

ـ وَمَنْ سَـيَتَعَهَّدُ بِرِعَايَةِ أَحْوَاضِ الزُّهُـورِ الْجَمِيلَةِ، الَّتِي أَحْضَرَهَا لَنَا الْعَمُّ رِيَاضٌ، وَالِدُكَ يَا «أَحْمَدُ»؟

فَأَجَابَ «أَحْمَدُ»:

ـ سَأَتَوَلَّى أَنَا هَذِهِ الْمُهِمَّةَ، وَسَيُسَاعِدُنِي «أَمِينٌ».

انْدَهَشَ الْأَصْدِقَاءُ وَصَاحُوا فِي صَوْتٍ وَاحِدٍ:

ـ «أَمِينٌ»؟! «أَمِينٌ» مَنْ؟

ـ «أَمِيـنٌ» صَدِيقُنَا.. سَـأُحْضِرُ لَهُ زُجَاجَـةً فَارِغَةً لَدَيَّ، مُزَوَّدَةً بِرَشَّـاشٍ، وَسَأُعَلِّمُهُ رَيَّ الزُّهُورِ.

ـ أَلَيْسَتْ مُهِمَّةً صَعْبَةً بِالنِّسْبَةِ لَهُ؟

ـ سَأُسَاعِدُهُ حَتَّى يَتَعَلَّمَ.

قَالَتْ «هُدَى»:

ـ لَا تَنْسَ يَا «أَحْمَدُ» أَنْ تُجَمِّلَ مَدْخَلَ الْعِمَارَةِ بِبَعْضِ لَوْحَاتِكَ الْجَمِيلَةِ.

ـ أَنَا فِعْلًا فَكَّرْتُ فِي ذَلِكَ.

وَالْتَفَتَ «أَحْمَدُ» إِلَى «مَيَّ» وَقَالَ:

ـ نَنْتَظِـرُ مِنْكَ تَزْيِينَ سَـلَّةِ الْقُمَامَةِ الْكَبِيرَةِ، الْمَوْضُوعَـةِ بِمَدْخَلِ الْعِمَارَةِ، بِكِيسٍ مُطَرَّزٍ مِنْ صُنْعِ يَدَيْكِ يَا «مَيُّ».

ـ أَنَا بِالْفِعْلِ أُطَرِّزُ كِيسًا مَصْنُوعًا مِنَ الْقُطْنِ الْقَوِيِّ خِصِّيصًا لِهَذَا الْغَرَضِ، وَسَيَحُوزُ عَلَى إِعْجَابِكُمْ جَمِيعًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

ـ إِذَنِ اتَّفَقْنَا.

ـ اتَّفَقْنَا.

2

اسْـتَيْقَظَ «أَحْمَدُ» مُبَكِّرًا فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي، وَانْتَهَى وَأُخْتُهُ مِنْ تَنَاوُلِ إِفْطَارِهِمَا بِسُرْعَةٍ، وَبَدَأَ «أَحْمَدُ» يُجَهِّزُ الزُّجَاجَةَ الصَّغِيرَةَ، الَّتِي سَيَسْتَخْدِمُهَا

«أَمِينٌ» فِي سِقَايَةِ الزُّهُورِ. ثُمَّ اسْتَأْذَنَ وَالِدَتَهُ فِي النُّزُولِ، لِكَيْ يَرْوِيَ أَحْوَاضَ الزُّهُورِ هُوَ وَ«أَمِينٌ»، فَنَظَرَتْ لَهُ وَالِدَتُهُ نَظْرَةً مِلْؤُهَا السَّعَادَةُ وَالِاعْتِزَازُ.

نَزَلَ «أَحْمَدُ» إِلَى الْحَدِيقَةِ، وَ«أَمِينٌ» مَعَهُ يَصِيحُ فِي بَرَاءَةٍ طُفُولِيَّةٍ: «هِيهْ.. هِيـهْ.. وَدَّهْ.. وَدَّهْ.. هِيهْ»، وَ«أَحْمَدُ» يَضْحَكُ لِضَحِكِـهِ، وَيُرَبِّتُ عَلَى كَتِفِهِ فِي حَنَانٍ. وَبَدَأَ «أَحْمَدُ» يُعَلِّمُ «أَمِينًا»؛ كَيْفَ يَسْقِي أَحْوَاضَ الزُّهُورِ، كَانَ يَضَعُ يَدَهُ فَوْقَ يَدِ «أَمِينٍ»، وَيَرْوِي الزُّهُورَ فِي كُلِّ حَوْضٍ. كَانَ «أَمِينٌ» سَعِيدًا جِدًّا بِهَذِهِ الْمُهِمَّةِ الْبَسِيطَةِ،وَأَشَارَ إِلَى أَحَدِ الْأَحْوَاضِ، وَقَالَ لِـ«أَحْمَدَ»:

ـ وَدَّهْ.

فَقَالَ لَهُ «أَحْمَدُ» بِرِفْقٍ:

ـ لَا.. لَا يَـا «أَمِيـنُ» هَذِهِ الزُّهُورُ لَيْسَـتْ لِلْقَطْفِ.. نَتَفَـرَّجُ عَلَيْهَا مِنْ بَعِيدٍ فَقَطْ، لَا تَقْطِفْهَا حَتَّى لَا أَغْضَبَ مِنْكَ.

فَهَزَّ «أَمِينٌ» رَأْسَهُ مُذْعِنًا.

وَبِمُـرُورِ الْأَيَّـامِ؛ تَعَلَّمَ «أَمِيـنُ» أَنْ يَنْزِلَ مَعَ «أَحْمَدَ»، وَيَسْـقِي أَحْوَاضَ الزُّهُورِ بِنَفْسِهِ، دُونَ مُسَاعَدَةِ «أَحْمَدَ». كَانَتْ مُهِمَّةً بَسِيطَةً، لَكِنَّهَا أَسْعَدَتْهُ كَثِيـرًا، وَمَنَحَتْهُ قَدْرًا كَبِيرًا مِنَ الثِّقَةِ بِنَفْسِـهِ وَبِقُدُرَاتِهِ. كَمَا كَانَتْ «مَرْوَةُ» تَصْطَحِبُـهُ أَحْيَانًـا فِي الزِّيَـارَاتِ، الَّتِـي قَامَتْ بِهَا لِأَطْفَالِ الشَّـارِعِ؛ بَـدَأَتِ الزُّهُورُ تَتَفَتَّحُ، وَانْتَشَـرَ أَرِيجُهَـا فِي كُلِّ مَـكَانٍ، وَبَـدَأَتْ مَظَاهِرُ الْجَمَالِ تُطِلُّ بِرَأْسِهَا مِنْ كُلِّ رُكْنٍ بِالشَّارِعِ. فَفِنَاءُ الْعِمَارَةِ تُزَيِّنُهُ أَحْوَاضُ الزُّهُـورِ الَّتِـي تَرَاصَّـتْ عَـلَى الْجَانِبَيْنِ، وَوُضِعَتْ أَسْـفَلَ السُّلَّمِ سَلَّةُ قُمَامَةٍ كَبِيرَةٌ، مَصْنُوعَـةٌ مِنَ الْخُـوصِ، وَقَدْ غُلِّفَتْ مِـنَ الْخَارِجِ بِكِيـسٍ بَدِيعٍ، مُطَـرَّزٍ بِخُيُوطٍ مِنَ الصُّـوفِ بَدِيعَةِ الْأَلْـوَانِ، وَفِي الْأَحْـرُفِ دَانْتِيـلًا رَقِيقَـةٌ، يَتَخَلَّلُهَا شَـرِيطٌ مِـنَ الْحَرِيـرِ الْأَحْمَـرِ، اخْتَارَتْـهُ «مَيُّ» بِعِنَايَةٍ، لِيَتَمَشَّى مَعَ لَوْنِ الزُّهُورِ.

وَعَلَّقَ «أَحْمَدُ» عِدَّةَ لَوْحَاتٍ فَنِّيَّةٍ، مَرْسُومَةٍ عَلَى الزُّجَاجِ، كَانَ قَـدْ أَعَدَّهَا خِصِّيصًا لِهَذَا

الْغَـرَضِ. وَفِي نِهَايَةِ الْمَمَـرِّ الْفَاصِلِ بَيْنَ عِمَارَةِ «أَحْمَـدَ» وَالْعِمَارَةِ التَّالِيَةِ، رُصَّـتْ مَجْمُوعَـةٌ أُخْرَى مِنْ أَحْـوَاضِ الزُّهُورِ، وَفِي كُلِّ رُكْنٍ وُضِعَتْ سَـلَّةُ قُمَامَـةٍ صَغِيرَةٌ، مَرْسُـومٌ عَلَيْهَا طِفْلٌ يُلْقِـي بِالْقُمَامَةِ دَاخِلَهَـا. وَقَدْ لَاحَظَ الْأَصْدِقَـاءُ خِـلَالَ الْأَيَّامِ الْقَلِيلَةِ الْمَاضِيَـةِ أَنَّ «أَمِينًا» أَصْبَحَ أَهْـدَأَ، فَلَمْ يَعُدْ عَنِيفًـا كَمَا كَانَ مِنْ قَبْـلُ، كَانَ يَلْجَأُ أَحْيَانًا إِلَى الصُّـرَاخِ وَالْبُكَاءِ، وَلَكِنْ مَعَ تَوْجِيهِهِ بِرِفْقٍ، بَدَأَ هَذَا السُّلُوكُ يَخْتَفِي تَدْرِيجِيًّا، كَمَا أَصْبَحَ قَادِرًا عَلَى نُطْقِ اسْمَيْ «أَحْمَدَ» وَ«مَيَّ» نُطْقًا صَحِيحًا، نَتِيجَةً لِلْجُهْدِ الْكَبِيرِ الَّذِي بَذَلَتْهُ مَعَهُ

«هُـدَى»؛ فَهِيَ تَتَوَلَّى تَدْرِيبَهُ عَلَى النُّطْقِ الصَّحِيحِ، وَكَانَتْ أَحْضَرَتْ لَهُ مِرْآةً؛ لِيُشَاهِدَ حَرَكَاتِ لِسَانِهِ وَفَمِهِ فِي أَثْنَاءِ النُّطْقِ. وَقَدْ جَذَبَتْهُ الْمِرْآةُ بِشِدَّةٍ، وَبَدَأَ يَسْتَجِيبُ لِـ «هُدَى»، وَيُحْرِزُ تَقَدُّمًا كَبِيرًا.

وَأَقْنَعَتْ وَالِدَةُ «هُدَى» وَ«أَحْمَدَ» أُمَّهَاتِ الْأَصْدِقَاءِ الثَّلَاثَةِ: «مَيَّ»، وَ«مُرَادٍ»، وَ«مَـرْوَةَ»، بِأَهَمِّيَّةِ أَنْ تَتَطَوَّعَ كُلٌّ مِنْهُنَّ لِاسْـتِضَافَةِ «أَمِينٍ» فِي بَيْتِهَا، يَوْمًا وَاحِـدًا فِي الْأُسْـبُوعِ، لِمُدَّةِ سَـاعَتَيْنِ بَعْدَ الظُّهْرِ، حَتَّى يُتَـاحَ لِوَالِدَةِ «أَمِينٍ» تَنَاوُلُ قِسْـطٍ مِنَ الرَّاحَةِ، بَعْدَ الْعَنَاءِ الشَّدِيدِ الَّذِي تَتَكَبَّدُهُ يَوْمِيًّا فِي رِعَايَتِهِ، وَأَدَاءِ وَاجِبَاتِهَا الْمَنْزِلِيَّةِ.

وَلِأَوَّلِ مَرَّةٍ مُنْذُ سَنَوَاتٍ عَدِيدَةٍ؛ شَاهَدَ الْأَصْدِقَاءُ وَالِدَةَ «أَمِينٍ» فِي الشَّارِعِ، فَأَصْبَحَ مُعْتَادًا أَنْ يُشَاهِدُوهَا فِي السُّوبَرْ مَارْكِتْ، أَوْ فِي السُّوقِ، وَسَعِدَ الْأَصْدِقَاءُ كَثِيرًا، عِنْدَمَا عَلِمُوا أَنَّ إِحْدَى الْجَارَاتِ؛ قَدْ أَهْدَتْهَا تَذْكَرَتَيْنِ، لِمُشَاهَدَةِ فِيلْمٍ جَدِيدٍ فِي السِّينِمَا.

3

ذَاتَ مَسَاءٍ؛ كَانَ «أَمِينٌ» فِي اسْتِضَافَةِ أُسْرَةِ «أَحْمَدَ»، وَكَانَ الْأَصْدِقَاءُ الْخَمْسَةُ جَالِسِينَ عَلَى الْأَرْضِ فِي حُجْرَةِ «أَحْمَدَ»، وَقَدِ افْتَرَشُوا لَوْحًا وَرَقِيًّا مِنَ الْكَانْسُونِ، وَكُلٌّ مِنْهُمْ يَكْتُبُ فِي جَانِبٍ مِنْهُ، فَهُمْ يُعِدُّونَ مَجَلَّةَ حَائِطٍ، لِتُعَلَّقَ فِي مَدْخَلِ الشَّارِعِ، وَ«أَمِينٌ» كَانَ جَالِسًا مَعَهُمْ، يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ بِقَلَقٍ، فَهُمُ الْيَوْمَ مُنْشَغِلُونَ عَنْهُ، وَلَا يَتَحَدَّثُونَ مَعَهُ كَعَادَتِهِمْ.

أَحَسَّ «أَحْمَدُ» بِـ«أَمِينٍ»، وَقَدَّمَ لَهُ وَرَقَةً بَيْضَاءَ، وَعُلْبَةَ أَلْوَانٍ كَانَتْ بِجَانِبِهِ، وَقَالَ لَهُ «أَحْمَدُ»:

ـ مَا رَأْيُكَ فِي أَنْ تَرْسُمَ وَرْدَةً؟ هَا هِيَ الْأَلْوَانُ.

وَانْشَغَلَ الْأَصْدِقَاءُ الْخَمْسَةُ عَنْهُ مَرَّةً أُخْرَى، مَرَّتْ نِصْفُ سَاعَةٍ، ثُمَّ سَاعَةٌ، وَ«أَمِينٌ» مُنْهَمِكٌ فِي الرَّسْمِ، وَمَا إِنِ انْتَهَى الْأَصْدِقَاءُ الْخَمْسَةُ مِنْ إِعْدَادِ الْمَجَلَّةِ، حَتَّى صَدَرَتْ عَنْهُمْ صَيْحَاتٌ عَالِيَةٌ:

ـ «أَمِينٌ» هَذَا غَيْرُ مُمْكِنٍ! «أَمِينٌ» هَذَا غَيْرُ مُمْكِنٍ! مَا هَذَا الْجَمَالُ؟!

كَانَ «أَمِينٌ» قَدِ انْتَهَى مِنْ رَسْمِ بَاقَةِ زُهُورٍ، كَانَتْ لَوْحَةً بَسِيطَةً، لَكِنَّهَا مُعَبِّرَةٌ لِلْغَايَةِ، حَتَّى خُيِّلَ إِلَيْهِمْ مِنْ جَمَالِهَا؛ أَنَّ شَذَاهَا قَدْ عَبَّأَ كُلَّ رُكْنٍ

بِالْحُجْرَةِ!

صَرَخَ «أَحْمَدُ» بِحَمَاسِهِ الْمَعْهُودِ:

ـ مَا أَجْمَلَهَا! سَأُعَلِّقُهَا فِي حُجْرَتِي.. لَا.. لَا بَلْ سَأُعَلِّقُهَا فِي فِنَاءِ الْعِمَارَةِ.

وَقَامَ «مُرَادٌ» بِحَمْلِ «أَمِينٍ» فَوْقَ كَتِفِهِ، وَبَدَأَ يُرَدِّدُ:

ـ الْفَنَّانُ مين؟

فَيَرُدُّ عَلَيْهِ الْأَصْدِقَاءُ:

ـ الْفَنَانُ «أَمِينٌ».

وَصَاحَتْ «هُدَى»:

ـ فِكْرَةُ أَبِي تَكْسِبُ. يَعِيشُ أَبِي!

فِي تِلْكَ الْأَثْنَاءِ؛ دَخَلَ وَالِدُ «أَحْمَدَ» وَوَالِدَتُهُ، وَتَسَاءَلَا عَنْ سَبَبِ هَذِهِ الضَّوْضَاءِ! قَفَزَتْ «هُدَى» مِنْ مَكَانِهَا، وَقَالَتْ:

ـ فِكْرَةُ حَضْرَتِكَ يَا أَبِي عَنْ تَفَاوُتِ قُدُرَاتِ الْإِنْسَانِ كَسَبَتْ!

وَقَالَ «أَحْمَدُ»:

ـ نَحْنُ سُعَدَاءُ جِدًّا الْيَوْمَ؛ لِأَنَّنَا اكْتَشَفْنَا مَوْهِبَةَ «أَمِينٍ».

رَبَّتَتْ وَالِدَتُهُ عَلَى كَتِفِهِ، ثُمَّ فَتَحَتْ ذِرَاعَيْهَا، وَدَعَتْهُمْ لِلتَّقَدُّمِ نَحْوَهَا، ثُمَّ ابْتَسَمَتْ وَقَالَتْ:

ـ وَأَنَا عِنْدِي خَبَرٌ جَمِيلٌ سَيُسْعِدُكُمْ!

تَسَاءَلَتْ «مَرْوَةُ» فِي شَوْقٍ:

ـ مَا هَذَا الْخَبَرُ يَا تُرَى؟ هَلْ ظَهَرَتِ النَّتِيجَةُ وَنَجَحْنَا؟

ـ سَتَنْجَحُونَ جَمِيعًا، وَبِتَفَوُّقٍ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَلَكِنَّ الْخَبَرَ الَّذِي عِنْدِي؛ لَيْسَ مُتَعَلِّقًا بِنَتِيجَةِ آخِرِ الْعَامِ. إِنَّهُ يَخُصُّ «أَمِينًا».

ـ «أَمِينٌ»؟!

ـ نَعَـمْ «أَمِينٌ». كُنْتُمْ تَسْـأَلُونَ أَنْفُسَـكُمْ طَوَالَ الْأَيَّامِ الْمَاضِيَـةِ عَنْ كَيْفِيَّةِ التَّعَامُـلِ مَعَ «أَمِيـنٍ»، وَقَالَتْ لِي «هُـدَى» أَمْسِ: لِمَنْ نَلْجَأُ يَـا أُمِّي؟ مَنْ يُعَلِّمُنَا كَيْفَ نَتَعَامَلُ مَعَ «أَمِينٍ»؟

صَفَّقَتْ «هُدَى» وَقَالَتْ:

ـ هَلْ وَجَدْتِ يَا أُمِّي مَنْ يُسَاعِدُنَا؟

ـ الْحَمْـدُ لِلَّهِ، وَفَّقَنِي اللَّهُ لِلْوُصُولِ إِلَى صَدِيقَةٍ قَدِيمَةٍ، كَانَتْ مُسَـافِرَةً مُنْذُ سَنَوَاتٍ، وَعَادَتْ إِلَى مِصْرَ مُنْذُ شَهْرٍ، وَسَتُسَاعِدُنَا جَمِيعًا بِإِذْنِ اللَّهِ. وَهِيَ فِي شَوْقٍ لِرُؤْيَتِكُمْ، أَنْتُمْ وَصَدِيقِكُمُ الْعَزِيزِ، وَقَدْ حَدَّدَتْ مَوْعِدًا لِمُقَابَلَتِكُمْ، يَوْمَ الْخَمِيسِ الْقَادِمِ، فِي جَمْعِيَّةِ «بَشَائِرُ الْخَيْرِ» الَّتِي تَعْمَلُ بِهَا.

ـ أَهِيَ مُدَرِّسَةٌ؟

ـ لَا يَا «مَيُّ».

ـ إِذَنْ هِيَ طَبِيبَةٌ نَفْسِيَّةٌ؟

ـ لَا يَا «مَرْوَةُ».. لَيْسَتْ طَبِيبَةً نَفْسِيَّةً!

ـ مُمَرِّضَةٌ إِذَنْ؟

ـ لَا يَا «أَحْمَدُ».. لَيْسَتْ مُمَرِّضَةً!

ـ لَقَدْ أَصَابَتْنَا الْحَيْرَةُ! مَنْ تَكُونُ إِذَنْ؟

ـ إِنَّهَا إِخْصَائِيَّةٌ نَفْسِيَّةٌ.

انْدَهَشَ الْأَصْدِقَاءُ عِنْدَمَا سَمِعُوا هَذَا اللَّفْظَ، وَنَطَقُوا جَمِيعًا بِصَوْتٍ وَاحِدٍ:

ـ إِخْصَائِيَّةٌ نَفْسِيَّةٌ! مَاذَا يَعْنِي: إِخْصَائِيَّةٌ نَفْسِيَّةٌ؟

ـ لَقَدْ حَدَّدَتْ لَكُمْ مَوْعِدًا لِمُقَابَلَتِهَا، يَوْمَ الْخَمِيسِ الْقَادِمِ، وَسَتُعَرِّفُكُمْ بِنَفْسِهَا، وَبِوَظِيفَتِهَا، وَسَتُجِيبُ عَنْ جَمِيعِ أَسْئِلَتِكُمْ.

بَاتَ الْأَصْدِقَاءُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ وَهُمْ يَشْعُرُونَ بِمَشَاعِرَ مُتَنَاقِضَةٍ، فَهُمْ يَشْعُرُونَ بِسَعَادَةٍ غَامِرَةٍ؛ لِأَنَّهُمُ اكْتَشَفُوا فِي «أَمِينٍ» هَذِهِ الْمَوْهِبَةَ الْجَمِيلَةَ، وَلَكِنَّهُمْ يَشْعُرُونَ كَذَلِكَ بِقَلَقٍ بَالِغٍ مِنْ زِيَارَتِهِمُ الْمُرْتَقَبَةِ لِلْإِخْصَائِيَّةِ النَّفْسِيَّةِ.

تُرَى مَنْ تَكُونُ؟ وَمَا طَبِيعَةُ وَظِيفَتِهَا؟ وَهَلْ سَيَجِدُونَ لَدَيْهَا إِجَابَةً وَافِيَةً عَنْ أَسْئِلَتِهِمُ الْعَدِيدَةِ؟ وَهَلْ سَيَنْجَحُونَ فِي إِقْنَاعِ وَالِدَةِ «أَمِينٍ» بِأَهَمِّيَّةِ أَنْ تَأْتِيَ هِيَ وَابْنُهَا مَعَهُمْ لِزِيَارَتِهَا بِالْجَمْعِيَّةِ؟ وَهَلْ سَتَنْجَحُ فِي تَعْلِيمِهِمْ كَيْفِيَّةَ التَّعَامُلِ بِكَفَاءَةٍ مَعَ «أَمِينٍ»؟ وَهَلْ يُمْكِنُ أَنْ تَشْفِيَ «أَمِينًا» مِنَ التَّأَخُّرِ الْعَقْلِيِّ، وَيُصْبِحَ طِفْلًا سَوِيًّا مِثْلَهُمْ؟

هَذِهِ الْأَسْئِلَةُ جَمِيعًا اسْتَحْوَذَتْ عَلَى اهْتِمَامِ الْأَصْدِقَاءِ الْخَمْسَةِ طَوَالَ هَذَا الْيَوْمِ وَالْأَيَّامِ التَّالِيَةِ.

الْفَصْلُ الثَّالِثُ

الْحَدِيثُ الْمُرْتَقَبُ

1

أَحَسَّ الْأَصْدِقَاءُ الْخَمْسَةُ بِسَعَادَةٍ بَالِغَةٍ، بَعْدَ سَمَاعِهِمْ خَبَرَ زِيَارَتِهِمْ لِلْإِخْصَائِيَّةِ النَّفْسِيَّةِ، وَتَمَنَّوْا مِنْ كُلِّ قُلُوبِهِمْ أَنْ يَتَعَلَّمَ «أَمِينٌ» وَيَتَحَسَّنَ، لِيُصْبِحَ أَكْفَأَ فِي حَيَاتِهِ الْيَوْمِيَّةِ.

لَكِنْ كَانَ هُنَاكَ شُعُورٌ غَامِضٌ بِالْقَلَقِ يُسَيْطِرُ عَلَى مَشَاعِرِهِمْ! فَمَنْ يُدْرِيهِمْ أَنَّ وَالِدَةَ «أَمِينٍ» سَتُوَافِقُ عَلَى ذَهَابِ ابْنِهَا إِلَى الْإِخْصَائِيَّةِ النَّفْسِيَّةِ! وَحَتَّى وَلَوْ وَافَقَتْ، وَذَهَبَتْ مَعَهُمْ هِيَ وَ«أَمِينٌ»، فَمَنْ يَضْمَنُ أَنَّهَا سَتَقْبَلُ أَنْ تَتَعَاوَنَ مَعَهَا، وَتُنَفِّذَ تَعْلِيمَاتِهَا؟ وَلَكِنْ لَا مَانِعَ مِنَ الْمُحَاوَلَةِ. هَكَذَا قَالَ «أَحْمَدُ» لِنَفْسِهِ وَلِأَصْدِقَائِهِ.

جَلَسَ «أَحْمَدُ» فِي حُجْرَتِهِ، فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي، وَهُوَ يَتَطَلَّعُ بِبَصَرِهِ إِلَى الْعِمَارَةِ الْمُقَابِلَةِ، وَتَحْدِيدًا إِلَى شُرْفَةِ «مِيمُو»، أَقْصِدُ «أَمِينًا»، فَهَكَذَا أَصْبَحَ أَصْدِقَاؤُهُ يُنَادُونَهُ «مِيمُو»، فَابْتَسَمَ رَغْمًا عَنْهُ، ثُمَّ عَادَ لِلْوُجُومِ مَرَّةً أُخْرَى!

كَانَتْ «هُدَى» تَجْلِسُ بِجِوَارِهِ تَتَأَمَّلُهُ، وَفَجْأَةً اقْتَرَبَتْ مِنْهُ، وَسَأَلَتْهُ:

ـ فِيمَ تُفَكِّرُ يَا «أَحْمَدُ»؟

ـ أُفَكِّرُ فِيمَا تُفَكِّرِينَ فِيهِ.

ـ حَقِيقَةً أَنَا لَمْ أَنَمْ جَيِّدًا لَيْلَةَ أَمْسِ، أَخْشَى أَنْ تَرْفُضَ وَالِدَةُ «أَمِينٍ» عَرْضَنَا!

ـ وَأَنَا كَذَلِكَ!

ـ مَا رَأْيُكَ أَنْ نَطْلُبَ مِنْ أُمِّي إِقْنَاعَهَا؟

ـ دَعِينَا نُحَاوِلْ جَمِيعًا. أُمِّي مِنْ جَانِبٍ، وَنَحْنُ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ، فَالْمُهِمَّةُ صَعْبَةٌ وَحَسَّاسَةٌ لِلْغَايَةِ.

ـ مَتَى سَنَذْهَبُ لِزِيَارَتِهِمْ؟

ـ اللَّيْلَةَ فِي مِيعَادِنَا الْمُعْتَادِ بِإِذْنِ اللَّهِ؟

ـ وَهَلْ سَيَذْهَبُ مَعَنَا «مُرَادٌ» وَ«مَيٌّ» وَ«مَرْوَةُ»؟

ـ طَبْعًا.

ـ وَهَلْ أُمِّي عَلَى عِلْمٍ بِزِيَارَتِنَا؟

ـ طَبْعًا. لَقَدْ تَحَدَّثْتُ مَعَهَا لَيْلَةَ أَمْسِ، وَطَلَبْتُ مِنْهَا أَنْ تُحَدِّدَ لَنَا مَوْعِدًا لِمُقَابَلَةِ الْعَمَّةِ «مُنَى» وَالِدَةِ «أَمِينٍ».

2

بَدَأَتْ أَشِعَّةُ الشَّمْسِ تَتَوَارَى، اسْتِعْدَادًا لِلرَّحِيلِ، وَهَبَّتْ نَسْمَةٌ رَقِيقَةٌ، أَحْدَثَتْ إِحْسَاسًا مُنْعِشًا، مَمْزُوجًا بِالْأَمَلِ وَالتَّفَاؤُلِ، فَابْتَسَمَ «أَحْمَدُ»، وَبَدَأَ يَسْتَعِدُّ لِلنُّزُولِ، وَمَا هِيَ إِلَّا ثَوَانٍ مَعْدُودَةٌ، حَتَّى تَجَمَّعَ الْأَصْدِقَاءُ الْخَمْسَةُ،

وَفْقًا لِاتِّفَاقِهِمْ عَلَى بَابِ شَقَّةِ «مِيمُو».

ـ لِمَاذَا تَقِفُونَ هَكَذَا؟! مَنْ مِنْكُمْ يَدُقُّ الْجَرَسَ؟

ـ ابْدَأْ أَنْتَ يَا «أَحْمَدُ»؛ أَنْتَ أَكْبَرُنَا.

مِنْ بَعِيدٍ تَنَاهَتْ إِلَى أَسْمَاعِهِمْ صَيْحَاتُ «مِيمُو»: هِيهْ.. هِيهْ.. «هُدَى».. «مَيُّ».. مَادْ.. أَمَّدْ.. هِيهْ.. هِيهْ. فَابْتَسَمَ الْجَمِيعُ. تَقَدَّمَ «مِيمُو» وَالِدَتَهُ، وَابْتَسَمَ ابْتِسَامَتَهُ الْجَمِيلَةَ، ثُمَّ تَعَلَّقَ بِيَدِ «أَحْمَدَ»، وَأَشَارَ إِلَى السُّلَّمِ، فَرَبَّتَ «أَحْمَدُ» عَلَى يَدِهِ، وَقَالَ لَهُ:

ـ نَحْنُ الْيَوْمَ سَنَجْلِسُ عِنْدَكُمْ يَا «مِيمُو». لَنْ نَنْزِلَ الْحَدِيقَةَ.

فَغَضِبَ «أَمِينٌ»، وَبَدَأَ يَبْكِي، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى وَالِدَتِهِ، عَلَّهَا تُقْنِعُ «أَحْمَدَ» بِالتَّرَاجُعِ عَنْ قَرَارِهِ. فَقَالَ لَهُ «أَحْمَدُ»:

ـ سَنَتَحَدَّثُ مَعَ أُمِّي أَوَّلًا، ثُمَّ نَنْزِلُ بَعْدَ ذَلِكَ. مُوَافِقٌ يَا «مِيمُو»؟

فَعَادَ «أَمِينٌ» لِابْتِسَامَتِهِ الْمَعْهُودَةِ، وَأَفْسَحَ لَهُمُ الطَّرِيقَ لِلدُّخُولِ، فَضَحِكَ الْجَمِيعُ. ثُمَّ بَدَأَتْ وَالِدَتُهُ الْكَلَامَ:

ـ تَفَضَّلُوا يَا أَوْلَادُ. «مِيمُو» تَعَلَّقَ بِكُمْ كَثِيرًا، وَأَصْبَحَ خُرُوجُهُ مَعَكُمْ شَيْئًا مُهِمًّا جِدًّا فِي حَيَاتِهِ، وَلَا أُبَالِغُ إِذَا قُلْتُ لَكُمْ إِنَّ نُزْهَتَهُ الْيَوْمِيَّةَ مَعَكُمْ، بَاتَتْ هِيَ مُتْعَتَهُ الْوَحِيدَةَ، فَمُعْظَمُ الْيَوْمِ لَا يَفْعَلُ شَيْئًا سِوَى الْجُلُوسِ فِي النَّافِذَةِ بِالسَّاعَاتِ. وَفِي الْغَالِبِ لَا يَرَى سِوَاكُمْ. فَنَحْنُ لَمْ يَعُدْ يَزُورُنَا أَحَدٌ مُنْذُ فَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ.

تَأَثَّرَ الْأَصْدِقَاءُ كَثِيرًا مِنْ كَلَامِهَا، وَبَدَأَتْ تَرْتَسِمُ عَلَى مَلَامِحِهِمْ عَلَامَاتُ التَّأَثُّرِ وَالْإِشْفَاقِ.

وَبَدَأَ «أَحْمَدُ» الْحَدِيثَ:

ـ كَمْ يَبْلُغُ «مِيمُو» مِنَ الْعُمْرِ الْآنَ يَا عَمَّةُ «مُنَى»؟

ـ سَيَبْلُغُ عَامَهُ السَّادِسَ عِنْدَ بِدَايَةِ الْعَامِ الدِّرَاسِيِّ الْقَادِمِ.

ـ وَهَلْ سَيَلْتَحِقُ بِالْمَدْرَسَةِ هَذَا الْعَامَ؟

فَبَدَأَتْ مَلَامِحُ وَالِدَتِهِ تَتَغَيَّرُ، وَقَالَتْ فِي تَأَثُّرٍ بَالِغٍ:

ـ وَهَلْ مَنْ كَانَ فِي مِثْلِ حَالَتِهِ، يَدْخُلُ مَدَارِسَ يَا «أَحْمَدُ»؟!

فَتَدَخَّلَ «مُرَادٌ» قَائِلًا:

ـ «أَحْمَدُ» يَقْصِدُ يَا عَمَّةُ الْمَدَارِسَ الْمُخَصَّصَةَ لِمَنْ فِي مِثْلِ حَالَتِهِ.

ـ أَرَى أَنَّ ذَلِكَ مَضْيَعَةٌ لِلْوَقْتِ، فَحَالَتُهُ فِي تَصَوُّرِي مُتَأَخِّرَةٌ جِدًّا، وَلَنْ يُجْدِيَ إِدْخَالُهُ مَدْرَسَةً!

ـ لِمَاذَا كُلُّ هَذَا الْيَأْسِ يَا عَمَّةُ ؟! قَدْ تَتَحَسَّنُ حَالَتُهُ، وَيُصْبِحُ أَفْضَلَ.

ـ وَيَكُونُ طَبِيبًا مَثَلًا، أَوْ مُهَنْدِسًا، أَوْ ضَابِطًا!

ـ وَهَلْ كُلُّ النَّاجِحِينَ فِي الْحَيَاةِ أَطِبَّاءُ، وَمُهَنْدِسُونَ، وَضُبَّاطٌ؟!

ـ بِالتَّأْكِيدِ يَا عَمَّةُ سَيُصْبِحُ أَفْضَلَ مِمَّا هُوَ عَلَيْهِ الْآنَ.

ـ لَقَدْ تَحَدَّثْتِ مَعِي وَالِدَتُكُمَا أَمْسِ، حَدِيثًا طَوِيلًا فِي مُحَاوَلَةٍ مِنْهَا لِإِقْنَاعِي بِذَهَابِ «مِيمُو» إِلَى الْإِخْصَائِيَّةِ النَّفْسِيَّةِ. حَقِيقَةً أَنَا شَكَرْتُهَا عَلَى كَرَمِهَا، وَرَفَضْتُ عَرْضَهَا الْكَرِيمَ، وَطَوَالَ لَيْلَةِ أَمْسِ وَأَنَا أُفَكِّرُ، وَأَسْأَلُ نَفْسِي: لِمَاذَا رَفَضْتُ؟ وَأَنَا الْآنَ أَشْعُرُ بِأَنِّي أُرِيدُ أَنْ أَحْكِيَ لَكُمْ قِصَّتِي، لَعَلَّكُمْ تُقَدِّرُونَ أَسْبَابَ رَفْضِي،

وَتَتَفَهَّمُوا مَوْقِفي جَيِّدًا؛ لِأَنَّكُمْ بِالْفِعْلِ أَعِزَّاءُ، وَأَصْبَحْتُ أُحِبُّكُمْ حُبًّا شَدِيدًا لِحُبِّكُمْ لِابْنِي.

ثُمَّ صَمَتَتْ قَلِيلًا. فَاقْتَرَبَ مِنْهَا «مُرَادٌ» وَقَالَ:

ـ يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّ «مِيمُو» أَصْبَحَ صَدِيقَنَا الصَّغِيرَ الْمُدَلَّلَ، الَّذِي لَا نَسْتَطِيعُ الِاسْتِغْنَاءَ عَنْهُ، وَكُلٌّ مِنَّا مُسْتَعِدٌّ أَنْ يَفْعَلَ الْمُسْتَحِيلَ لِكَيْ يُسْعِدَهُ.

فَاسْتَطْرَدَ «أَحْمَدُ»:

ـ سَنَكُونُ سُعَدَاءَ بِسَمَاعِ قِصَّةِ حَضْرَتِكِ يَا عَمَّةُ.

وَبَدَأَتْ وَالِدَةُ «أَمِينٍ» الْكَلَامَ:

ـ تَبْـدَأُ قِصَّتِي مُنْذُ سَـبْعِ سَـنَوَاتٍ، بِالتَّحْدِيدِ يَوْمَ 18 يَنَايِـرَ عَامَ 1990. هَذَا الْيَوْمُ كَانَ أَجْمَلَ يَوْمٍ فِي حَيَاتِي؛ فَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي اكْتَشَـفْتُ فِيهِ أَنَّنِي سَـأُصْبِحُ أُمًّـا. عُدْتُ يَوْمَهَا مِنْ عِنْـدِ الطَّبِيبِ، وَأَنَا أَشْـعُرُ أَنَّ لِي أَجْنِحَةً، تَجْعَلُنِي أُحَلِّقُ بَعِيدًا.. بَعِيدًا فِي السَّمَاءِ. كُنْتُ أَضْحَكُ، وَأَبْكِي فِي آنٍ وَاحِدٍ! شَـعَرْتُ يَوْمَهَا بِرَغْبَةٍ عَارِمَةٍ فِي أَنْ أُخْبِرَ كُلَّ مَنْ أُقَابِلُهُ؛ بِأَنَّنِي سَـأُصْبِحُ أُمًّا. حَقًّا سَـأُصْبِحُ أُمًّا. يَاهْ بَعْدَ انْتِظَارِ عَـشْـرِ سَـنَوَاتٍ! كَادَ الْيَأْسُ فِي أَثْنَائِهَا أَنْ يَتَسَرَّبَ إِلَى نَفْسِي، لَوْلَا إِيمَانِي الْعَمِيقِ بِاللَّهِ.

مُنْذُ تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَطَوَالَ تِسْعَةِ أَشْهُرٍ، وَأَنَا أُعِدُّ نَفْسِي لِمُقَابَلَةِ هَذَا الضَّيْفِ الْعَزِيـزِ. بَدَأْتُ أَقْرَأُ كُتُبًا عَـنْ كَيْفِيَّةِ رِعَايَـةِ الْأَطْفَالِ، وَبَدَأْتُ أَتَعَلَّمُ أَشْـغَالَ الْإِبْرَةِ خِصِّيصًا مِنْ أَجْلِهِ؛ لِأُعِدَّ لِوَلِيدِي مَلَابِسَـهُ بِنَفْسِي، فَهَذَا جَوْرَبٌ يُدْفِئُ قَدَمَيْـهِ، وَذَاكَ غِطَاءُ رَأْسٍ أُحْكِمُ وَضْعَهُ عَلَى رَأْسِـهِ لِأَقِيَهُ مِـنَ الْبَرْدِ، وَهَذِهِ بَطَّانِيَّةٌ، وَذَاكَ سِـرْوَالٌ... إلخ. وَظَلِلْتُ هَكَذَا طَوَالَ التِّسْـعَةِ أَشْـهُرٍ سَعِيدَةً مَرِحَـةً مُنْطَلِقَـةً، رَغْمَ الْآلَامِ الشَّـدِيدَةِ الَّتِـي عَانَيْتُهَا طَوَالَ أَشْـهُرِ الْحَمْلِ، وَسَـاهَمَ كِبَرُ سِـنِّي فِي مُضَاعَفَةِ آلَامِي، لَكِنِّي كُنْتُ أَتَحَمَّلُ بِجَلَدٍ وَصَبْرٍ. فَهَا أَنَا سَأُصْبِحُ أُمًّا.

وَحَانَتْ لَحْظَةُ الْوِلَادَةِ. لَنْ أَسْتَطِيعَ أَنْ أَصِفَ لَكُمْ إِحْسَاسِي لَحْظَتَهَا. كِدْتُ أَصْرُخُ فَرَحًا. وَعِنْدَمَا أَطْلَقَ «أَمِينٌ» أُولَى صَيْحَاتِهِ، وَسَجَدَ زَوْجِي شُكْرًا لِلَّهِ، تَلَقَّفْتُهُ فِي يَدِي وَوَضَعْتُهُ عَلَى قَلْبِي، عَـلَّهُ يُهَدِّئُ ضَرَبَاتِ قَلْبِي الْمُتَسَـارِعَةِ، وَلَمْ تَهْـدَأْ آلَامِي إِلَّا عِـنْدَمَا نَامَ عَلَى صَدْرِي، شَعَرْتُ عِنْدَئِذٍ أَنَّ كُلَّ الْآلَامِ الَّتِي تَسْـرِي فِي كُلِّ جُزْءٍ مِنْ جَسَدِي قَدْ هَدَأَتْ. كَانَ طِفْلًا جَمِيلًا بِحَقٍّ، وَبِشَهَادَةِ

الْجَمِيعِ، وَعِنْدَمَا لَمَسْتُ أَصَابِعَ يَدِهِ الرَّقِيقَةِ، وَتَعَلَّقَتْ بِأَصَابِعِي، شَعَرْتُ بِسَعَادَةٍ لَيْسَ بَعْدَهَا سَعَادَةٌ . مَا هَذَا الدِّفْءُ؟! يَاهْ أَحْسَسْتُ وَقْتَهَا أَنِّي مَلَكْتُ الدُّنْيَا بِأَكْمَلِهَا! وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ.. يَوْمٌ.. اثْنَانِ.. ثَلَاثَةٌ.. أَذْكُرُ هَذَا الْيَوْمَ جَيِّدًا. كُنْتُ أُصِبْتُ بَعْدَ الْوِلَادَةِ مُبَاشَرَةً بِإِنْفِلُوَنْزَا حَادَّةٍ، وَبِالطَّبْعِ كُنْتُ أُرْضِعُ وَلِيدِي، وَرَغْمَ كُلِّ الِاحْتِيَاطَاتِ؛ انْتَقَلَتِ الْعَدْوَى لِـ «أَمِينٍ»، فَذَهَبْنَا عَلَى الْفَوْرِ لِإِخْصَائِيِّ حَدِيثِي الْوِلَادَةِ. لَا أَدْرِي لِمَاذا تَمَلَّكَنِي وَقْتَهَا إِحْسَاسٌ غَامِضٌ بِالْخَوْفِ مِنْ شَيْءٍ مَجْهُولٍ. وَبَعْدَ أَنِ انْتَهَى الطَّبِيبُ مِنَ الْكَشْفِ عَلَيْهِ، وَكَتَبَ لَهُ الْعِلَاجَ الْمُلَائِمَ قُلْتُ لَهُ:

ـ أَشْعُرُ أَنَّ هُنَاكَ شَيْئًا غَيْرَ طَبِيعِيٍّ فِي ابْنِي، وَلَكِنَّنِي لَا أَدْرِي مَا هُوَ!

فَغَضِبَ مِنِّي زَوْجِي، وَاتَّهَمَنِي أَنَّنِي أُبَالِغُ، فَإِصَابَةُ الْأَطْفَالِ الرُّضَّعِ بِنَزَلَاتِ الْبَرْدِ أَمْرٌ مُعْتَادٌ، وَلَكِنَّ مَخَاوِفِي لَمْ تَكُنْ لَهَا أَيَّةُ عَلَاقَةٍ بِإِصَابَةِ «أَمِينٍ» بِالْإِنْفِلُوَنْزَا. وَشَعَرْتُ بِأَنَّ الطَّبِيبَ يُؤَيِّدُنِي فِي مَخَاوِفِي، وَأَنَّهُ يُخْفِي عَنِّي أَمْرًا مَا! وَبَعْدَ أَنْ هَدَّأَنِي، طَلَبَ مِنِّي عَرْضَهُ عَلَى أُسْتَاذِ أَعْصَابٍ صَدِيقٍ لَهُ، فَتَوَجَّهْنَا لِعِيَادَتِهِ فِي الْيَوْمِ التَّالِي.

يَوْمَهَا اكْتَشَفْنَا الْحَقِيقَةَ الْمُرَوِّعَةَ. قَالَهَا لَنَا الطَّبِيبُ بِلَا رَحْمَةٍ وَلَا شَفَقَةٍ! خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ أَجْرِي كَالْمَحْمُومَةِ، وَطَلَبْتُ مِنْ زَوْجِي أَنْ نَذْهَبَ إِلَى طَبِيبٍ آخَرَ. وَظَلِلْنَا بَعْدَهَا وَلِعِدَّةِ أَشْهُرٍ، نَتَنَقَّلُ فِي دَهَالِيزِ الْمُسْتَشْفَيَاتِ، وَمَعَامِلِ التَّحَالِيلِ، وَجَاءَتْ نَتَائِجُ الْفُحُوصِ مُخَيِّبَةً لِآمَالِنَا. عَرَفْتُ أَنَّ ابْنِي مُتَأَخِّرٌ عَقْلِيًّا، وَأَنَّ حَالَتَهُ تُسَمَّى «زُمْلَةَ دَاوِنْ». ظَلِلْتُ أَيَّامًا بَعْدَهَا لَا أَقْوَى عَلَى مُغَادَرَةِ الْفِرَاشِ، وَأُصِبْتُ بِاكْتِئَابٍ نَفْسِيٍّ شَدِيدٍ، لَمْ يُخْرِجْنِي مِنْهُ سِوَى هَذَا الْكَائِنِ الْبَرِيءِ، قُلْتُ لِنَفْسِي: « وَمَا ذَنْبُهُ فِي كُلِّ هَذَا؟».

فِي بِدَايَةِ الصَّدْمَةِ رَفَضْنَا تَصْدِيقَ كَلَامِ الْأَطِبَّاءِ، وَكُنَّا نُمَنِّي أَنْفُسَنَا بِأَوْهَامٍ، بَعْدَ فَتْرَةٍ بَدَأْنَا نَتَقَبَّلُ أَقْدَارَنَا، وَسَلَّمْنَا بِالْأَمْرِ الْوَاقِعِ. وَمَرَّتِ الشُّهُورُ، لَاحَظْتُ بَعْدَهَا أَنَّ «أَمِينًا» مُتَأَخِّرٌ فِي كُلِّ مَظَاهِرِ النُّمُوِّ، فَكُنْتُ أُقَارِنُهُ بِأَبْنَاءِ شَقِيقَاتِي. تَأَخَّرَ «أَمِينٌ» فِي التَّسْنِينِ، وَفِي الْجُلُوسِ، وَفِي الْمَشْيِ، كَذَلِكَ فِي الْكَلَامِ، وَإِلَى الْآنَ لَا يَتَكَلَّمُ سِوَى كَلِمَاتٍ قَلِيلَةٍ، لَا تَتَنَاسَبُ مَعَ سِنِّهِ. وَمَشَاكِلُهُ الصِّحِّيَّةُ لَا حُدُودَ لَهَا، فَقَدْ وُلِدَ بِعَيْبٍ فِي الْقَلْبِ، وَتَتَحَسَّنُ حَالَتُهُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، نَتِيجَةً لِلْمُتَابَعَةِ الْمُسْتَمِرَّةِ لَهُ، كَمَا أَنَّ مَنَاعَتَهُ ضَعِيفَةٌ لِلْغَايَةِ، وَلِهَذَا فَهُوَ مُصَابٌ بِاسْتِمْرَارٍ بِنَزَلَاتِ الْبَرْدِ، وَرَغْمَ كُلِّ هَذِهِ الْآلَامِ، كَانَ وُجُودُهُ فِي حَيَاتِنَا، هِبَةً عَظِيمَةً مِنَ اللَّهِ، فَقَدْ آنَسَ وَحْدَتَنَا، وَأَدْخَلَ الْبَهْجَةَ فِي حَيَاتِنَا؛ لِأَنَّهُ فِي النِّهَايَةِ طِفْلٌ، يُحِسُّ، وَيَفْرَحُ، وَيَضْحَكُ، وَيُسَلِّيكَ بِحَرَكَاتِهِ الطَّرِيفَةِ.

وَبِمُـرُورِ السَّـنَوَاتِ؛ حَدَثَتْ بَعْضُ مَظَاهِرِ التَّحَسُّـنِ الْبَسِـيطِ، فَهُوَ الْآنَ أَصْبَـحَ أَكْثَرَ فَهْمًا، وَيُنَفِّـذُ كُلَّ مَا نَطْلُبُهُ مِنْهُ: «هَاتِ حِـذَاءَ أَبِيكَ»، «أَحْضِرِ الْمُشْـطَ مِنْ حُجْرَتِي». طَبْعًـا يَتَصَوَّرُ كَثِيرُونَ أَنَّ الْأَطْفَـالَ الْمُتَأَخِّرُونَ، لَا يَفْهَمُونَ شَيْئًا عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَهَذَا خَطَأٌ.

وَبَـدَأَتْ حَيَاتُـنَـا تَنْتَـظِمُ تَدْرِيجِيًّا، وَقَرَّرْتُ وَوَالِـدُهُ أَنْ نَعِيشَ حَيَاتَنَا بِشَكْلٍ طَبِيعِيٍّ، رَغْمَ كُلِّ الْآلَامِ، وَرَغْمَ حَجْمِ الْمُشْكِلَةِ.

ثُمَّ بَدَأَتْ وَالِدَتُـهُ تَبْكِي، فَاقْتَرَبَتْ «هُدَى» مِنْهَا، وَبَدَأَتْ تُرَبِّتُ عَلَى كَتِفِهَا، «وَمِيمُو» يَنْظُرُ إِلَيْهَا بِتَأَثُّرٍ بَالِغٍ، ثُمَّ تَسَلَّلَ وَجَلَسَ عَلَى حِجْرِهَا، فَاحْتَضَنَتْهُ، وَبَدَأَتْ تَسْتَرْسِلُ:

ـ صَمَّمْـتُ أَنْ نَحْيَا حَيَـاةً طَبِيعِيَّةً، وَبَدَأْتُ أَعُودُ لِمُمَارَسَـةِ عَمَلِي، وَأَدْخَلْتُ «أَمِينًا» حَضَانَةً عِنْدَمَا بَلَغَ عَامَهُ الثَّانِيَ.

ثُمَّ صَمَتَتْ قَلِيلًا، فَسَأَلَتْهَا «هُدَى»:

ـ هَلْ حَضْرَتُكِ كُنْتِ تَعْمَلِينَ؟

ـ نَعَمْ كُنْتُ أَعْمَلُ مُدَرِّسَةَ تَرْبِيَةٍ مُوسِيقِيَّةٍ، فِي إِحْدَى الْمَدَارِسِ الثَّانَوِيَّةِ، وَكُنْتُ وَقْتَهَا مِنَ الْمُتَمَيِّزَاتِ فِي عَمَلِي، وَلَكِنْ بَعْدَ فَتْرَةٍ اسْتَقَلْتُ، وَتَفَرَّغْتُ لِرِعَايَتِهِ.

وَعَادَتْ تَسْتَكْمِلُ حَدِيثَهَا:

ـ كُنْـتُ أُحَاوِلُ، لَكِنَّ كُلَّ الظُّـرُوفِ مِنْ حَوْلِي، كَانَتْ تَدْفَعُ بِـي إِلَى الِاتِّجَاهِ الْمُعَاكِـسِ.. إِذَا ذَهَبْتُ إِلَى وَالِدَتِي، وَتَرَكْتُ ابْنِـي يَلْعَبُ مَعَ أَوْلَادِ خَالَاتِهِ، وَبَدَرَ عَنْهُ أَيُّ تَصَرُّفٍ غَيْرِ مُتَوَقَّعٍ مِمَّنْ فِي مِثْلِ سِنِّهِ، أَجِدُ الْجَمِيعَ يَضْحَكُ، وَقَدْ يُشِـيرُ إِلَيْهِ أَحَدُ الصِّغَارِ وَيَقُولُ: «أَصْلُهُ عَبِيطٌ»! وَرَغْمَ عِلْمِ الْجَمِيعِ بِحَالَتِهِ، كَانُوا لَا يُرَاعُونَ مَشَـاعِرِي، وَرُبَّمَا أَكُونُ أَنَا حَسَّاسَةً بِشَكْلٍ زَائِدٍ لَا أَدْرِي! وَإِذَا ذَهَبْنَـا إِلَى الْمَصِيفِ؛ يُلَاحِقُنَا النَّاسُ بِنَظَرَاتِهِمُ الْفُضُولِيَّةِ، وَقَدْ تَقْتَرِبُ مِنِّي إِحْدَى السَّـيِّدَاتِ، وَتَطْلُبُ مِنِّـي أَنْ أَعْرِضَهُ عَلَى طَبِيبٍ، فَهُـوَ... وَتَتَـرَدَّدُ فِي إِكْمَالِهَا، فَـأَرُدُّ عَلَيْهَـا بِعَصَبِيَّةٍ: «أَعْرِفُ أَنَّـهُ مُتَأَخِّرٌ عَقْلِيًّا»! وَفِي الْحَضَانَةِ تَشْـكُو لِي الْمُدَرِّسَـةُ مِنْ تَصَرُّفَاتِهِ الْغَرِيبَةِ، وَتُصِرُّ عَلَى إِسْمَاعِي يَوْمِيًّا عِبَارَةً وَاحِدَةً لَا تَتَغَيَّرُ: «ابْنُكِ لَيْسَ طَبِيعِيًّا.. اعْرِضِيهِ عَلَى طَبِيبٍ»! حَتَّى ضِقْتُ بِالنَّظَرَاتِ الْفُضُولِيَّةِ، وَبِالْأَسْـئِلَةِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي

أَصْبَحَـتْ كَالْحَبْلِ الْغَلِيظِ، الَّذِي يُحْكَمُ حَوْلَ رَقَبَتِي. اخْتَنَقْتُ وَتَعِبْتُ مِنْ تَرْدِيـدِ الْكَلَامِ نَفْسِـهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ: « نَعَمْ ذَهَبْتُ بِـهِ إِلَى أَكْثَرَ مِنْ طَبِيبٍ.. لَيْسَ لَهُ عِلَاجٌ عِنْدَ الْأَطِبَّاءِ.. أَعْرِفُ أَنَّهُ مُتَأَخِّرٌ عَقْلِيًّا.. وَلَكِنْ مَا حِيلَتِي؟!».

وَفَكَّرْتُ أَنْ أَذْهَبَ إِلَى الْأَرَاضِي الْمُقَدَّسَةِ لِأُؤَدِّيَ عُمْرَةً، لِتَهْدَأَ نَفْسِي. أُقْسِمُ لَكُـمْ بِاللَّهِ إِنَّنِي لَمْ أَنْجُ مِنْ هَذِهِ النَّظَرَاتِ نَفْسِـهَا، حَتَّى وَنَحْنُ فِي بَيْتِ اللَّهِ! رُبَّمَا الْمَلَامِحُ الْمُمَيِّزَةُ لِلْأَطْفَالِ الَّذِينَ يُعَانُونَ حَالَةَ «أَمِينٍ»، هِيَ الَّتِي تَجْعَلُ مِنَ السَّهْلِ التَّعَرُّفَ عَلَى حَالَتِهِمْ، لَسْتُ أَدْرِي.

أَتَذَكَّرُ هَذَا الْيَوْمَ جَيِّدًا. كُنْتُ أُصَلِّي، وَ«أَمِينٌ» مُقَيَّدٌ بِحِزَامٍ أُمْسِكُهُ فِي يَدِي، فَقَـدْ كُنْتُ أَخْشَـى أَنْ يَضِيعَ مِنِّـي فِي الزِّحَامِ، وَمَا إِنِ انْتَهَيْـتُ مِنَ الصَّلَاةِ، حَتَّى فُوجِئْتُ بِكُلِّ مَنْ حَوْلِي يَنْظُرُونَ إِلَيَّ، بَعْضُهَا نَظَرَاتُ إِشْفَاقٍ، وَبَعْضُهَا الْآخَرُ نَظَرَاتٌ مِلْؤُهَا الْفُضُولُ، وَحُبُّ الِاسْتِطْلَاعِ! كَانَ «أَمِينٌ» يُحَاوِلُ بِكُلِّ مَا أُوتِيَ مِنْ قُوَّةٍ الْإِفْلَاتَ مِنْ قَبْضَتِي، وَأَعْتَقِدُ أَنَّ هَذَا سُـلُوكٌ مُتَوَقَّعٌ، يُمْكِنُ أَنْ يَقُومَ بِهِ أَيُّ طِفْلٍ تُقَيَّدُ حَرَكَتُهُ. فَأَحْسَسْـتُ بِضِيقٍ شَدِيدٍ، وَصَرَخْتُ فِيهِنَّ: «مَاذَا يَجْرِي؟!» وَبَدَأْتُ أَبْكِي، وَدَعَوْتُ اللَّهَ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ سَمِعَهُ كُلُّ مَنْ كُنَّ يَجْلِسْنَ بِجِوَارِي: «صَبِّرْنِي يَا رَبِّ عَلَى مَا أَنَا فِيهِ». فَبَدَأْنَ يَعْتَذِرْنَ لِي.

وَمُنْـذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ؛ قَرَّرْتُ أَلَّا أَخْرُجَ مِنْ بَيْتِي، إِذَا كَانَ خُرُوجِي مِنَ الْبَيْتِ، يَجْلِبُ لِي كُلَّ هَذِهِ الْآلَامِ فَلَسْتُ فِي حَاجَةٍ إِلَيْهِ. اسْتَقَلْتُ مِنْ عَمَلِي، لِأَتَفَرَّغَ تَمَامًا لِرِعَايَـةِ «أَمِينٍ»، فَمَعَ الْأَيَّامِ اكْتَشَـفْتُ أَنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى جُهْـدٍ كَبِيرٍ فِي رِعَايَتِهِ، وَحِمَايَتِهِ مِنَ الْأَخْطَارِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي قَدْ يَتَعَرَّضُ لَهَا، إِذَا كَانَ بِمُفْرَدِهِ.

وَتَوَلَّى زَوْجِي إِمْدَادِي بِكُلِّ احْتِيَاجَاتِي، وَبِمُرُورِ السِّنِينَ؛ نَسِيتُ الْخُرُوجَ، وَلَـمْ أَعُدْ أَزُورُ أَحَـدًا إِلَّا فِي الْحَالَاتِ الضَّرُورِيَّةِ، وَلَمْ يَعُدْ يَزُورُنِي أَحَدٌ كَذَلِكَ.

فَلَا أَحَدَ يَتَحَمَّلُ ابْنِي، وَلَمْ تَعُدْ لِابْنِي تَسْلِيَةٌ سِوَى النَّافِذَةِ، وَلَكِنْ لَمْ يَكْفِهِمْ هَذَا! فَعَادُوا لِمُلَاحَقَتِهِ وَإِيذَائِهِ، إِنِّي أَسْمَعُ بِنَفْسِي مُضَايَقَاتِ الْأَوْلَادِ لَهُ، وَنَظَرًا لِأَنَّ شُرْفَتَنَا بِالدَّوْرِ الْأَوَّلِ، فَكَثِيرًا مَا يَقْذِفُونَهُ بِحِجَارَةٍ، أَوْ بِعُلْبَةِ كَرْتُونٍ فَارِغَةٍ، أَوْ قِشْرَةِ مَوْزٍ! وَأَسْأَلُ نَفْسِي: لِمَاذَا يُؤْذُونَهُ، وَهُوَ فِي حَالِهِ لَمْ يُوَجِّهْ لَهُمْ أَيَّ إِيذَاءٍ؟! مَاذَا أَفْعَلُ؟ هَلْ أَمْنَعُهُ كَذَلِكَ مِنَ النَّافِذَةِ؟!

أَحَسَّ الْأَصْدِقَاءُ الْخَمْسَةُ بِالْخَجَلِ الشَّدِيدِ، وَقَالَ «أَحْمَدُ»:

ـ لَا أَدْرِي يَا عَمَّةُ مَاذَا أَقُولُ لَكِ. نَحْنُ فَعَلْنَا سُلُوكَنَا السَّابِقَ عَنْ جَهْلٍ.

فَقَاطَعَتْهُ وَالِدَةُ «أَمِينٍ» قَائِلَةً:

ـ لَا أَقْصِدُكُمْ أَنْتُمْ يَا «أَحْمَدُ». فَأَنْتُمُ اعْتَذَرْتُمْ، وَحَاوَلْتُمْ تَفَهُّمَ «أَمِينٍ»، وَتَفَهُّمَ احْتِيَاجَاتِهِ، وَأَصْبَحْتُمْ تُحِبُّونَهُ، وَتَنْشَغِلُونَ بِهِ مِثْلَنَا. لَكِنِّي أَقْصِدُ تَلَامِيذَ الْمَدْرَسَةِ الْمُقَابِلَةِ لِلْعِمَارَةِ. أَنَا فِعْلًا تَعِبْتُ. تَعَالَوْا مَعِي إِلَى حُجْرَةِ «أَمِينٍ»، وَانْظُرُوا مَعِي إِلَى شُرْفَتِهِ.

دَخَلَ الْأَصْدِقَاءُ حُجْرَةَ «أَمِينٍ»، وَنَظَرُوا إِلَى أَرْضِيَّةِ الشُّرْفَةِ، كَانَتْ بِالْفِعْلِ مَلِيئَةً بِكَثِيرٍ مِنَ الْمُخَلَّفَاتِ: عُلْبَةِ كَرْتُونٍ، صُنْدُوقٍ، قِشْرَةِ مَوْزٍ، نَوَاةِ خَوْخٍ... إِلَخ. فَأَخَذَ الْأَصْدِقَاءُ يَجْمَعُونَ هَذِهِ الْمُخَلَّفَاتِ، وَأَلْقَوْهَا فِي سَلَّةِ الْمُهْمَلَاتِ، ثُمَّ عَادُوا لِسَمَاعِ الْعَمَّةِ «مُنَى» وَالِدَةِ «أَمِينٍ»:

ـ أَنْتُمْ لَا تَدْرُونَ مَدَى أَلَمِي، كُلَّمَا حَانَ مَوْعِدُ بَدْءِ الْعَامِ الدِّرَاسِيِّ الْجَدِيدِ، أَسْتَيْقِظُ صَبَاحَ أَوَّلِ يَوْمٍ فِيهِ، وَأَنْظُرُ مِنْ خَلْفِ السِّتَارَةِ إِلَى الْأَطْفَالِ الصِّغَارِ، وَهُمْ يَرْتَدُونَ زِيَّ الْمَدْرَسَةِ الْجَدِيدَ، وَيَحْمِلُونَ حَقَائِبَهُمُ الصَّغِيرَةَ عَلَى ظُهُورِهِمْ، مُحَمَّلَةً بِكُلِّ آمَالِهِمْ وَأُمْنِيَّاتِهِمُ الْجَمِيلَةِ، وَتُوَدِّعُهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ عَلَى بَابِ الْمَدْرَسَةِ، وَكُلٌّ مِنْهُنَّ تَحْدُوهَا آمَالٌ، فِي أَنْ يُصْبِحَ ابْنُهَا إِنْسَانًا مُهِمًّا

وَعَظِيمًا يَوْمًا مَا. وَأَنْظُرُ إِلَى صَغِيرِي الْمِسْكِينِ، الَّذِي تَحَدَّدَتْ إِقَامَتُهُ فِي حُجْرَتِهِ، يَعِيشُ بِلَا أَمَلٍ، فَأَحْزَنُ. قَدْ تَسْأَلُونَنِي: بِمَاذَا تَحْلُمِينَ لَهُ؟ فَأَقُولُ لَكُمْ بِصِدْقٍ إِنَّنِي لَمْ أَعُدْ قَادِرَةً عَلَى ذَلِكَ، فَالْأَحْلَامُ تُعَدُّ نَوْعًا مِنَ الرَّفَاهِيَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَمْثَالِي!

وَهَاهُوَ الْعَامُ الدِّرَاسِيُّ الْجَدِيدُ عَلَى الْأَبْوَابِ، وَسَتَتَجَدَّدُ آلَامِي مَرَّةً أُخْرَى، وَسَتَنْسِجُ الْأَحْزَانُ خُيُوطَهَا الْكَئِيبَةَ مَرَّةً أُخْرَى، فِي كُلِّ رُكْنٍ فِي بَيْتِي، فَلَا أَسْتَطِيعُ الْفِكَاكَ مِنْهَا. كُلُّ مَنْ حَوْلَنَا يَتَحَرَّكُ، وَيَتَقَدَّمُ لِلْأَمَامِ عَدَا ابْنِي!

وَانْخَرَطَتْ فِي الْبُكَاءِ مِنْ جَدِيدٍ، لَكِنْ كَانَتْ نَوْبَةُ الْبُكَاءِ هَذِهِ الْمَرَّةَ أَشَدَّ، وَبَدَأَتْ تَنْتَفِضُ، فَاقْتَرَبَتْ مِنْهَا «هُدَى» وَ«مَرْوَةُ» وَ«مَيُّ»، وَبَدَأْنَ يُهَدِّئْنَ مِنْ رَوْعِهَا، ثُمَّ قَبَّلَتْ «هُدَى» رَأْسَهَا وَقَالَتْ لَهَا:

ـ كُلُّنَا مَعَكِ يَا عَمَّةُ «مُنَى»، وَمُشْكِلَةُ «مِيمُو» لَمْ تَعُدْ مُشْكِلَتَكُمَا وَحْدَكُمَا، وَلَكِنَّهَا أَصْبَحَتْ مُشْكِلَتَنَا جَمِيعًا، وَإِنْ شَاءَ اللَّهُ سَيَكُونُ لَهَا حَلٌّ. لَا تَيْأَسِي مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ.

وَمَا هِيَ إِلَّا ثَوَانٍ مَعْدُودَةٌ، حَتَّى ارْتَفَعَ صَوْتُ الْمُؤَذِّنِ، يُؤَذِّنُ لِصَلَاةِ الْمَغْرِبِ، وَعَلَا صَوْتُهُ «اللَّهُ أَكْبَرُ.. اللَّهُ أَكْبَرُ»، فَأَحَسَّ الْجَمِيعُ بِرَاحَةٍ وَخُشُوعٍ، وَبَكَوْا بُكَاءً شَدِيدًا، تَأَثُّرًا وَحُبًّا، فَكَمْ تُعَانِي هَذِهِ السَّيِّدَةُ الْعَظِيمَةُ! وَشَعَرَ «أَحْمَدُ» وَ«هُدَى»، عَلَى وَجْهِ التَّحْدِيدِ، بِأَلَمٍ شَدِيدٍ؛ لِأَنَّهُمَا ظَلَمَا هَذِهِ السَّيِّدَةَ الْمِسْكِينَةَ يَوْمًا مَا. كَانَتْ «هُدَى» تَصِفُهَا دَائِمًا بِأَنَّهَا «سَيِّدَةٌ غَرِيبَةٌ»! حَقًّا لَقَدْ ظُلِمَتْ هَذِهِ السَّيِّدَةُ كَثِيرًا!

3

هَدَأَتْ وَالِدَةُ «أَمِينٍ» بَعْدَ أَدَاءِ الصَّلَاةِ، وَبَعْدَ أَنِ انْتَهَى الْجَمِيعُ مِنَ الصَّلَاةِ عَادَتْ لِلْحَدِيثِ مَرَّةً أُخْرَى:

ـ لَا أَدْرِي لِمَـاذَا حَكَيْتُ لَكُمْ كُلَّ هَذِهِ التَّفَاصِيلِ الْحَزِينَةِ! وَلَكِنِّي كُنْتُ أُبَرِّرُ لَكُـمْ مَوْقِفِي فَقَطْ، وَأُبَرِّرُ لَكُـمْ كَذَلِكَ مُبَرِّرَ رَفْضِي، فَهَلْ بَعْدَ سَـمَاعِكُمْ قِصَّتِي، مَا زِلْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّهُ مِنَ الْمُجْدِي أَنْ أَذْهَبَ بِـ«أَمِينٍ» إِلَى الْإِخْصَائِيَّةِ النَّفْسِيَّةِ؟

فَقَالَ «أَحْمَدُ»:

ـ نَحْنُ الْآنَ أَشَدُّ إِصْرَارًا.

وَاسْتَطْرَدَتْ «هُدَى»:

ـ بِالْأَمْسِ كُنْتِ حَضْرَتُكِ وَالْعَمُّ بِمُفْرَدِكُمَا، أَمَّا الْيَوْمَ فَنَحْنُ جَمِيعًا وَأُسَـرُنَا مَعَكُمَا.

وَاسْتَكْمَلَ «مُرَادٌ»:

ـ وَفِي الْغَدِ سَـيَكُونُ مَعَكُمَا عَدَدٌ أَكْبَرُ بِإِذْنِ اللَّهِ. وَبِالتَّأْكِيدِ الْمُشْـكِلَةُ الَّتِي يُعَايِشُـهَا اثْنَانِ يَكُونُ حِمْلُهَا أَشَـدَّ وَطْأَةً مِنَ الْمُشْـكِلَةِ الَّتِي تُعَايِشُـهَا جَمَاعَةٌ.

وَقَالَتْ «مَيُّ»:

ـ وَنَعِدُ حَضْرَتَكِ أَنَّنَا سَنُسَاعِدُكِ، وَسَنُنَفِّذُ كُلَّ مَا يُطْلَبُ مِنَّا.

وَفَكَّرَ «مُرَادٌ» قَلِيلًا، ثُمَّ قَالَ:

ـ أَلَا تُلَاحِظُونَ أَنَّ الْعَمَّةَ «مُنَى» ذَهَبَتْ إِلَى أَطِبَّاءَ مِنْ مُخْتَلِفِ التَّخَصُّصَاتِ، وَلَمْ تَذْهَبْ إِلَى إِخْصَائِيٍّ نَفْسِيٍّ وَاحِدٍ؟

فَقَالَ «أَحْمَدُ»:

ـ لَقَدِ اسْتَوْقَفَتْنِي أَنَا أَيْضًا هَذِهِ الْمَلْحُوظَةُ.

فَتَسَاءَلَتْ وَالِدَةُ «أَمِينٍ»:

ـ وَهَلْ سَيَكُونُ لَدَى الْإِخْصَائِيِّ النَّفْسِيِّ شَيْءٌ جَدِيدٌ؟! اسْتِشَارِيٌّ نَفْسِيٌّ وَعَصَبِيٌّ .. إِخْصَائِيٌّ نَفْسِيٌّ.. كُلُّهُ وَاحِدٌ. لَقَدْ حَوَّلَنِي الطَّبِيبُ إِلَى إِخْصَائِيٍّ نَفْسِيٍّ بِالْفِعْلِ، وَأَخْبَرَنِي الطَّبِيبُ أَنَّ هَذَا الْإِخْصَائِيَّ سَيَقِيسُ ذَكَاءَ «أَمِينٍ»، وَسَيَتَوَلَّى تَدْرِيبَهُ، وَلَكِنِّي لَمْ أَقْتَنِعْ بِأَهَمِّيَّةِ ذَهَابِي إِلَيْهِ، فَأَنَا أَعْرِفُ مُقَدَّمًا أَنَّ ذَكَاءَ ابْنِي مَحْدُودٌ، فَمَاذَا سَيَفْعَلُ ؟! وَمَاذَا سَيُضِيفُ لِي؟! لَقَدِ انْتَهَى الْأَمْرُ!

ـ اسْمَحِي لِي يَا عَمَّةُ أَنْ أَخْتَلِفَ مَعَكِ، وَعِنْدَمَا تَذْهَبِينَ مَعَنَا لِلْعَمَّةِ «إِيمَانَ»، الْإِخْصَائِيَّةِ النَّفْسِيَّةِ، قَدْ تَكْتَشِفِينَ أَنَّ بِإِمْكَانِهَا مُسَاعَدَةَ «أَمِينٍ»، وَمِنَ الْمُحْتَمَلِ أَنْ يَكُونَ لَدَيْهَا مَا تُقَدِّمُهُ لِمَنْ فِي مِثْلِ حَالَتِهِ. بَلْ قَدْ تَشْعُرِينَ بِالنَّدَمِ لِأَنَّ حَضْرَتَكِ تَأَخَّرْتِ، وَلَمْ تَبْدَئِي فِي تَعْلِيمِ «أَمِينٍ» مُبَكِّرًا.

ـ بِالْأَمْسِ تَحَدَّثْتُ مَعَ زَوْجِي، وَكَانَ مَوْقِفُهُ مُمَاثِلًا لِمَوْقِفِكُمْ.

ـ إِذَنْ مَاذَا يَضِيرُنَا مِنَ الْمُحَاوَلَةِ؟

ـ أَخْشَى يَا «هُدَى» أَنْ أَتَعَلَّقَ بِالْأَمَلِ مِنْ جَدِيدٍ، فَأَكْتَشِفَ أَنَّهُ سَرَابٌ.

ـ إِنْ شَاءَ اللَّهُ سَتَكْتَشِفِينَ أَنَّهُ أَمَلٌ حَقِيقِيٌّ وَلَيْسَ سَرَابًا.

وَاسْتَطْرَدَ «مُرَادٌ»:

ـ كُلُّنَا مُوَافِقُونَ إِلَّا حَضْرَتَكِ. وَرَأْيُ الْأَغْلَبِيَّةِ يَكْسِبُ يَا عَمَّةُ.

ـ إِذَنْ أَنْتُمْ مُصِرُّونَ؟

فَصَاحَ الْخَمْسَةُ بِصَوْتٍ وَاحِدٍ:

ـ أَشَدُّ إِصْرَارًا.

فَابْتَسَمَتْ وَالِدَةُ «أَمِينٍ» أَخِيرًا، وَقَالَتْ:

ـ إِذَنْ رَأْيُ الْأَغْلَبِيَّةِ يَكْسِبُ، أَنَا لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرْفُضَ لَكُمْ طَلَبًا، بَعْدَ كُلِّ مَا فَعَلْتُمُوهُ مِنْ أَجْلِي، وَمِنْ أَجْلِ ابْنِي.

فَقَفَزَ الْجَمِيعُ، وَاحْتَضَنُوهَا هِيَ وَ«أَمِينًا». وَ«أَمِينٌ» سَعِيدٌ لِسَعَادَتِهِمْ، وَيَصِيحُ فِي فَرَحٍ بَالِغٍ: «هِيهْ.. هِيهْ» فَضَحِكَ الْجَمِيعُ.

انْصَرَفَ الْأَصْدِقَاءُ مِنْ عِنْدِ «أَمِينٍ» وَهُمْ يَشْعُرُونَ بِسَعَادَةٍ بَالِغَةٍ، لِمُوَافَقَةِ وَالِدَةِ «أَمِينٍ» عَلَى الذَّهَابِ مَعَهُمْ؛ لِزِيَارَةِ الْإِخْصَائِيَّةِ النَّفْسِيَّةِ.

وَاتَّفَقَ الْأَصْدِقَاءُ الْخَمْسَةُ مَعَ وَالِدَةِ «أَحْمَدَ»، عَلَى أَنْ يَقُومُوا هُمْ أَوَّلًا بِزِيَارَةٍ جَمْعِيَّةِ «بَشَائِرُ الْخَيْرِ»، لِمُقَابَلَةِ الْعَمَّةِ «إِيمَانَ» الْإِخْصَائِيَّةِ النَّفْسِيَّةِ؛ لِكَيْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَتَكَلَّمُوا مَعَهَا بِحُرِّيَّةٍ، وَحَتَّى لَا يَجْرَحُوا مَشَاعِرَ وَالِدَةِ «أَمِينٍ» بِأَسْئِلَتِهِمْ، عَلَى أَنْ يَذْهَبَ «أَمِينٌ» وَوَالِدَتُهُ لِمُقَابَلَتِهَا فِي مِيعَادٍ لَاحِقٍ.

تُرَى يَا أَصْدِقَائِي هَلْ سَتَكُونُ زِيَارَتُهُمْ لِجَمْعِيَّةِ «بَشَائِرُ الْخَيْرِ» زِيَارَةً مُمْتِعَةً؟ وَهَلْ سَيَجِدُونَ عِنْدَ الْعَمَّةِ «إِيمَانَ» إِجَابَاتٍ وَافِيَةً عَنْ أَسْئِلَتِهِمْ؟ وَهَلْ سَيَسْتَجِيبُ «أَمِينٌ»؟ وَهَلْ سَيَكُونُ لَدَى الْإِخْصَائِيَّةِ النَّفْسِيَّةِ شَيْءٌ جَدِيدٌ؟ وَهَلْ سَيَنْجَحُ «أَمِينٌ» فِي التَّعَلُّمِ؟

الْفَصْلُ الرَّابِعُ

بَشَائِرُ الْخَيْرِ

1

الْيَوْمُ هُوَ الْخَمِيسُ، وَالسَّاعَةُ تَدُقُّ التَّاسِعَةَ صَبَاحًا، وَ«أَحْمَدُ» وَ«هُدَى» الْآنَ فِي حُجْرَتِهِمَا، يُجَهِّزَانِ مَلَابِسَهُمَا، فَمَوْعِدُ زِيَارَةِ الْعَمَّةِ «إِيمَانَ» الْإِخْصَائِيَّةِ النَّفْسِيَّةِ فِي الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ.

انْطَلَقَتْ صَفَّارَةُ «مُرَادٍ» تُعْلِنُ وُصُولَ بَاقِي الْأَصْدِقَاءِ الْخَمْسَةِ: «مَيّ»، وَ«مُرَادٍ»، وَ«مَرْوَةَ»، وَبِمُجَرَّدِ أَنْ سَمِعَ «أَحْمَدُ» الصَّفَّارَةَ، انْطَلَقَ مُسْرِعًا، تَتْبَعُهُ «هُدَى» لِمُقَابَلَةِ أَصْدِقَائِهِمَا.

وَقَفَ الْأَصْدِقَاءُ الْخَمْسَةُ عِدَّةَ دَقَائِقَ، فِي انْتِظَارِ وَالِدَةِ «أَحْمَدَ» الَّتِي سَتَصْحَبُهُمْ إِلَى جَمْعِيَّةِ «بَشَائِرُ الْخَيْرِ»، حَيْثُ تَعْمَلُ الْعَمَّةُ «إِيمَانُ» صَدِيقَتُهَا. جَلَسَ الْأَصْدِقَاءُ فِي السَّيَّارَةِ صَامِتِينَ، يُفَكِّرُونَ بِقَلَقٍ فِيمَا سَيَقُولُونَ، وَأَيْضًا يَنْتَابُهُمْ خَوْفٌ شَدِيدٌ مِنْ زِيَارَةِ الْعَمَّةِ «إِيمَانَ» فِي مَقَرِّ عَمَلِهَا بِهَذِهِ الْجَمْعِيَّةِ. لَقَدْ أَصَرَّتْ عَلَى أَنْ تَتِمَّ زِيَارَتُهُمْ لَهَا فِي الْجَمْعِيَّةِ الَّتِي تَعْمَلُ بِهَا، وَهِيَ جَمْعِيَّةٌ

«بَشَـائِرُ الْخَيْرِ»، الَّتِي تُقَدِّمُ خَدَمَاتٍ لِلْأَطْفَالِ الْمُتَأَخِّرِينَ عَقْلِيًّا، حَتَّى يَرَوْا هَـؤُلَاءِ الْأَطْفَالَ عَنْ قُرْبٍ، وَيَتَعَرَّفُوا عَـلَى طَبِيعَةِ عَمَلِهَا فِي هَذِهِ الْجَمْعِيَّةِ عَلَى الطَّبِيعَةِ، عَلَى حَدِّ قَوْلِهَا.

«تُرَى مَاذَا سَـيَكُونُ شَكْلُهُمْ، وَهَلْ سَـيَكُونُونَ مِثْلَ «أَمِينٍ» أَمْ مُخْتَلِفِينَ، وَهَـلْ يُمْكِنُ أَنْ يُؤْذُونَا، وَهَلْ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ حَالَـةُ أَحَدِهِمْ مُعْدِيَةً فَنُصَابَ مِثْلَهُمْ بِالتَّأَخُّرِ الْعَقْلِيِّ؟».

أَسْـئِلَةٌ كَثِيرَةٌ وَمُتَعَدِّدَةٌ ظَلَّتْ تُلَاحِقُ عُقُولَهُمُ الصَّغِيرَةَ طَوَالَ الطَّرِيقِ إِلَى الْجَمْعِيَّةِ.

فَجْأَةً تَوَقَّفَتِ السَّيَّارَةُ أَمَامَ مَبْنًى جَدِيدٍ، فِي إِحْدَى ضَوَاحِي الْمَعَادِي، كَانَ الْمَكَانُ نَظِيفًا، وَيَبْدُو أَنَّهُ بُنِيَ مُنْذُ فَتْرَةٍ وَجِيزَةٍ، وَهُوَ أَشْبَهُ مَا يَكُونُ بِفِيلَّا، وَهُوَ مُكَوَّنٌ مِنْ دَوْرَيْنِ، وَتَحُوطُهُ حَدِيقَةٌ مُتَّسِـعَةٌ، رُصَّتْ فِي أَرْجَائِهَا عَدِيدٌ مِنْ لُعَبِ الْأَطْفَالِ، كَمَا يُوجَدُ فِي أَحَدِ الْأَرْكَانِ فِنَاءٌ، مَحُوطٌ بِشَـبَكَةٍ، يَبْدُو أَنَّهُ مَلْعَبٌ صَغِيرٌ. الْمَكَانُ كُلُّهُ يُبْهِرُكَ مُنْذُ اللَّحْظَةِ الْأُولَى بِنَظَافَتِهِ وَهُدُوئِهِ.

أَسْـرَعَ الْحَارِسُ يُبْلِغُ الْإِخْصَائِيَّةَ النَّفْسِـيَّةَ بِوُصُولِهِـمْ، وَمَا هِيَ إِلَّا ثَوَانٍ حَتَّى جَاءَتِ الْعَمَّةُ «إِيمَانُ». كَانَ أَوَّلُ مَا لَفَتَ انْتِبَاهَهُمْ لَهَا هُوَ وُدَّهَا الشَّدِيدَ مَعَهُمْ، لَقَدْ رَحَّبَتْ بِهِمْ كَمَا لَوْ كَانَتْ تَعْرِفُهُمْ مُنْذُ سَنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ!

ـ هَؤُلَاءِ الْأَصْدِقَاءُ الْخَمْسَةُ الَّذِينَ حَدَّثْتُكِ عَنْهُمْ.

ـ أَهْلًا وَسَهْلًا بِكُمْ. أَنَا وَاثِقَةٌ أَنَّكُمْ سَتَسْعَدُونَ كَثِيرًا بِزِيَارَتِكُمْ لَنَا الْيَوْمَ.

نَظَـرَ الْأَصْدِقَـاءُ الْخَمْسَـةُ إِلَى بَعْضِهِمْ، وَبَـدَا الِارْتِبَاكُ وَاضِحًـا عَلَيْهِمْ، فَلَاحَظَتِ السَّيِّدَةُ «إِيمَانُ» ذَلِكَ، وَابْتَدَرَتْهُمْ قَائِلَةً:

ـ أَتَشْعُرُونَ بِالْخَوْفِ؟!

فَقَالَ «أَحْمَدُ»:

ـ بِصَرَاحَةٍ نَعَمْ.

ـ وَمَا مُبَرِّرُ خَوْفِكُمْ؟

ـ رُؤْيَةُ أَطْفَالِ الْجَمْعِيَّةِ يَا عَمَّةُ!

ـ وَلِمَاذَا؟

ـ نَخْشَى أَنْ تَكُونَ حَالَةُ أَحَدِهِمْ مُعْدِيَةً، فَنُصَابَ مِثْلَهُمْ بِالتَّأَخُّرِ!

وَقَالَتْ «هُدَى»:

ـ وَأَنَا بِصَرَاحَةٍ أَخْشَى أَنْ يَضْرِبَنِي أَحَدُهُمْ؛ فَهُمْ أَحْيَانًا يَتَصَرَّفُونَ تَصَرُّفَاتٍ غَرِيبَةً، وَغَيْرَ مُتَوَقَّعَةٍ.

فَاقْتَرَبَتِ السَّيِّدَةُ «إِيمَانُ» وَبَدَأَتْ تُرَبِّتُ عَلَيْهِمْ بِحَنَانٍ بَالِغٍ، ثُمَّ قَالَتْ:

ـ **أَوَّلًا**: التَّأَخُّرُ الْعَقْلِيُّ لَيْسَ مُعْدِيًا، فَاطْمَئِنُّوا تَمَامًا . **ثَانِيًا**: هَؤُلَاءِ الْأَطْفَالُ مِثْلَ غَيْرِهِمْ مِنَ الْأَطْفَالِ، يُحِبُّونَ مَنْ يُحِبُّهُمْ، وَيُؤْذُونَ مَنْ يُؤْذِيهِمْ، فَلِمَاذَا تَتَوَقَّعُونَ مِنْهُمُ الْإِيذَاءَ، وَأَنْتُمْ لَا تُفَكِّرُونَ فِي إِيذَائِهِمْ؟! سَتَرَوْنَ بِأَنْفُسِكُمْ أَنَّهُمْ أَطْفَالٌ كَغَيْرِهِمْ، بِاسْتِثْنَاءِ حَالَةِ الْإِعَاقَةِ الَّتِي يُعَانُونَهَا. وَالْآنَ أَنَا عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِسَمَاعِ أَسْئِلَتِكُمْ، نَبْدَأُ بِمَنْ؟

قَالَتْ «مَيُّ» بِسُرْعَةٍ:

ـ أَنَا يَا عَمَّةُ.

ـ تَفَضَّلِي يَا حَبِيبَتِي.

ـ هَلْ حَضْرَتُكِ طَبِيبَةٌ؟

ـ لَا يَا «مَيُّ» أَنَا عَمَلِي، وَإِنْ كَانَ يَتَطَلَّبُ اسْتِخْدَامَ أَسَالِيبَ عِلَاجِيَّةٍ، إِلَّا أَنَّنِي لَسْتُ طَبِيبَةً، وَلَكِنْ يُمْكِنُ أَنْ تُطْلِقِي عَلَيَّ « مُعَالِجٌ سُلُوكِيٌّ».

فَتَسَاءَلَتْ «مَرْوَةُ»:

- إِذَنْ حَضْرَتُكِ لَسْتِ خِرِّيجَةِ كُلِّيَّةِ الطِّبِّ؟
- بِالْفِعْـلِ يَا «مَرْوَةُ». أَنَا تَخَرَّجْتُ فِي كُلِّيَّةِ الْآدَابِ، وَتَخَصَّصِي عِلْمُ النَّفْسِ. أَمَّا الطَّبِيبُ النَّفْسِيُّ فَهُوَ خِرِّيجُ كُلِّيَّةِ الطِّبِّ، وَتَخَصُّصُهُ الطِّبُّ النَّفْسِيُّ.
- وَلَكِنْ أَلَا يُوجَدُ تَشَابُهٌ بَيْنَ التَّخَصُّصَيْنِ؟
- بِالطَّبْعِ هُنَاكَ تَشَـابُهٌ كَبِيرٌ بَيْنَ التَّخَصُّصَيْنِ، فَمِحْوَرُ اهْتِمَامِ كُلٍّ مِنَّا هُوَ الصِّحَّةُ النَّفْسِـيَّةُ لِلْإِنْسَـانِ. وَالطَّبِيبُ النَّفْسِـيُّ يَدْرُسُ بَعْضَ الْمُقَرَّرَاتِ الْخَاصَّـةِ بِنَا، وَنَحْـنُ أَيْضًا نَدْرُسُ مُخْتَلِفَ الْأَمْرَاضِ النَّفْسِـيَّةِ، وَطَرَائِقَ عِلَاجِهَا.
- وَلِمَاذَا؟

- لِكَيْ نَفْهَمَ السُّلُوكَ الْإِنْسَانِيَّ فَهْمًا صَحِيحًا، يَنْبَغِي أَنْ نَدْرُسَ السُّلُوكَ في شَكْلِهِ السَّوِيِّ، وَفي شَكْلِهِ الْمَرَضِيِّ.
- عِنْدَمَا عَلِمَ أَصْدِقَاؤُنَا أَنَّنَا سَنَأْتِي لِزِيَارَةِ حَضْرَتِكِ في الْجَمْعِيَّةِ، ضَحِكُوا، وَتَصَوَّرُوا أَنَّنَا سَنَأْتِي لِزِيَارَةِ أَطْفَالٍ.. أَطْفَالٍ.. أَخْشَى أَنْ أُغْضِبَ حَضْرَتَكِ!
- تَكَلَّمِي يَا «مَرْوَةُ» أَفْهَمُ مَا تَقْصِدِينَ.. تَصَوَّرُوا أَنَّكُمْ سَتَأْتُونَ لِزِيَارَةِ أَطْفَالٍ «مَجَانِينَ».. أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟
- بَلَى يَا عَمَّةُ؛ كَلِمَةُ الْإِخْصَائِيِّ النَّفْسِيِّ دَائِمًا مُرْتَبِطَةٌ في الْأَذْهَانِ بِالْمَجَانِينِ!

ـ أَوَّلًا نَتَّفِقُ مُنْذُ الْبِدَايَةِ عَلَى أَلَّا نُطْلِقَ أَلْفَاظًا مِنْ قَبِيلِ «مَجْنُونٌ» وَ«مُتَخَلِّفٌ» وَغَيْرِهَا مِنَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي تَحْمِلُ فِي مَضْمُونِهَا إِسَاءَةً لِلْغَيْرِ، فَدَعُونَا مِنَ الْآنَ نُطْلِقُ لَفْظَ «مُخْتَلِفٍ» وَلَيْسَ «مُتَخَلِّفًا» عَلَى الطِّفْلِ الْمُصَابِ بِإِعَاقَةٍ، فَهُوَ بِالْفِعْلِ مُخْتَلِفٌ عَنَّا فِي قُدُرَاتِهِ الْعَقْلِيَّةِ، وَفِي احْتِيَاجَاتِهِ، وَأَيْضًا نُطْلِقُ لَفْظَ «مَرِيضٍ نَفْسِيٍّ» عَلَى أَيِّ إِنْسَانٍ مُصَابٍ بِمَرَضٍ نَفْسِيٍّ بَدَلًا مِنْ لَفْظِ «مَجْنُونٍ». أَلَيْسَ هَذَا أَفْضَلَ؟

ـ بِالتَّأْكِيدِ يَا عَمَّةُ.

ـ نَعُودُ لِمَوْضُوعِنَا؛ هَذَا تَصَوُّرٌ خَطَأٌ بَعْضَ الشَّيْءِ؛ فَنَحْنُ كَإِخْصَائِيِّينَ نَفْسِيِّينَ نَتَعَامَلُ مَعَ الْأَسْوِيَاءِ وَالْمَرْضَى عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ، وَلَا يَقْتَصِرُ عَمَلُنَا عَلَى الْمَرْضَى فَقَطْ.

نَظَرَ الْأَصْدِقَاءُ إِلَى بَعْضِهِمْ، وَارْتَسَمَتِ الدَّهْشَةُ عَلَى مَلَامِحِهِمْ. وَتَسَاءَلَ «مُرَادٌ»:

ـ أَسْوِيَاءُ! أَتَعْنِينَ حَضْرَتَكِ أَنَّكِ يُمْكِنُ أَنْ تَتَعَامَلِي مَعَ أَطْفَالٍ مِثْلِنَا؟

ـ بِالطَّبْعِ.

ـ وَلَكِنَّنَا لَا نُعَانِي إِعَاقَةً مِنْ أَيِّ نَوْعٍ!

ـ يُمْكِنُ أَنْ يُسْهِمَ الْإِخْصَائِيُّ النَّفْسِيُّ فِي تَنْمِيَةِ قُدُرَاتِ الْأَطْفَالِ، وَفِي إِكْسَابِهِمْ عَدِيدًا مِنَ الْمَهَارَاتِ الْعَقْلِيَّةِ وَالِاجْتِمَاعِيَّةِ.

ـ كَتَنْمِيَةِ الْإِبْدَاعِ وَالِابْتِكَارِ مَثَلًا؟

ـ نَعَمْ، فَيُمْكِنُنِي اكْتِشَافُ مَوَاطِنِ التَّمَيُّزِ لَدَيْكُمْ، وَأُسَاعِدُكُمْ عَلَى تَنْمِيَتِهَا، لِيُصْبِحَ مِنْكُمُ الشَّاعِرُ، وَالْأَدِيبُ، وَالْعَالِمُ.. إلخ.

ـ هَذَا شَيْءٌ جَمِيلٌ حَقًّا. وَلَكِنْ هَلْ هَذَا يَحْدُثُ فِعْلًا؟

ـ نَعَمْ؛ حَيْثُ تَمَّ تَعْيِينُ عَدَدٍ مِنَ الْإِخْصَائِيِّينَ النَّفْسِيِّينَ فِي بَعْضِ الْمَدَارِسِ الْحُكُومِيَّةِ، وَيَقُومُونَ بِالْفِعْلِ بِأَدَاءِ هَذَا الدَّوْرِ، بِالْإِضَافَةِ إِلَى أَدْوَارٍ أُخْرَى.

ـ وَمَا هِيَ هَذِهِ الْأَدْوَارُ الْأُخْرَى؟

ـ مُسَاعَدَةُ التَّلَامِيذِ فِي التَّغَلُّبِ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْمُشْكِلَاتِ النَّفْسِيَّةِ الَّتِي تُصَادِفُهُمْ فِي حَيَاتِهِمُ الْيَوْمِيَّةِ، وَتُؤَثِّرُ عَلَيْهِمْ بِشَكْلٍ سَلْبِيٍّ، كَصُعُوبَةِ اسْتِذْكَارِ بَعْضِ الْمَوَادِّ الدِّرَاسِيَّةِ، وَفَشَلِهِمْ فِي تَنْظِيمِ وَقْتِهِمْ، وَفُقْدَانِ الرَّغْبَةِ فِي عَمَلِ أَيِّ شَيْءٍ، وَعَجْزِهِمْ عَنْ تَكْوِينِ صَدَاقَاتٍ نَاجِحَةٍ، وَعَجْزِهِمْ عَنِ التَّخَلُّصِ مِنْ بَعْضِ السُّلُوكِيَّاتِ غَيْرِ الْهَادِفَةِ كَالْعُنْفِ مَثَلًا.

فَقَالَ «أَحْمَدُ»:

ـ يَبْدُو أَنَّنَا جَمِيعًا بِالْفِعْلِ فِي احْتِيَاجٍ إِلَى الْإِخْصَائِيِّ النَّفْسِيِّ.

فَضَحِكَ الْجَمِيعُ، وَقَالَ «مُرَادٌ»:

ـ أَشْعُرُ بَعْدَ كَلَامِ حَضْرَتِكِ أَنَّنَا بِالْفِعْلِ فِي احْتِيَاجٍ شَدِيدٍ إِلَى الْإِخْصَائِيِّ النَّفْسِيِّ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

ـ الْجَمِيعُ بِالْفِعْلِ يَا «مُرَادُ» فِي احْتِيَاجٍ إِلَى الْإِخْصَائِيِّ النَّفْسِيِّ؛ لِهَذَا تَجِدُهُ فِي الْمَصْنَعِ، وَفِي الْمَدْرَسَةِ، وَفِي دُورِ الْأَحْدَاثِ، وَفِي الْمُسْتَشْفَى، وَفِي الْقُوَّاتِ الْمُسَلَّحَةِ، وَالْآنَ انْضَمَّ إِلَى مَحَاكِمِ الْأُسْرَةِ.

ـ مَا أَجْمَلَ هَذَا! إِنَّ وَظِيفَةَ حَضْرَتِكِ وَظِيفَةٌ إِنْسَانِيَّةٌ جِدًّا يَا عَمَّةُ.

ـ أَتَمَنَّى أَنْ أُصْبِحَ إِخْصَائِيَّةً نَفْسِيَّةً عِنْدَمَا أَكْبَرُ.

ـ وَأَنَا كَذَلِكَ.

وَضَحِكَتْ «هُدَى» وَقَالَتْ:

ـ كَأَنَّكُمْ تَتَحَدَّثُونَ عَنِّي.

2

سَادَ الصَّمْتُ بِضْعَ دَقَائِقَ، انْهَمَكَ الْأَصْدِقَاءُ فِي أَثْنَائِهِ فِي ارْتِشَافِ الْعَصِيرِ الَّذِي أَحْضَرَتْهُ عَامِلَةٌ صَغِيرَةٌ بِالْجَمْعِيَّةِ. وَفَجْأَةً قَالَتِ السَّيِّدَةُ «إِيمَانُ»:

ـ أَلَا تُلَاحِظُونَ أَنَّنَا نَسِينَا الْمَوْضُوعَ الَّذِي جِئْتُمْ مِنْ أَجْلِهِ، وَلَكِنَّنِي سَعِيدَةٌ بِأَسْئِلَتِكُمْ كَثِيرًا؟!

فَعَلَّقَ «أَحْمَدُ» مُبْتَسِمًا:

ـ نَعُودُ يَا عَمَّةُ لِمَوْضُوعِنَا الْأَصْلِيِّ.

ـ أَنَا عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِسَمَاعِ أَسْئِلَتِكُمْ.

فَابْتَدَرَتْهَا «مَرْوَةُ» قَائِلَةً:

ـ مَا الْمَعْنَى الْعِلْمِيُّ لِلتَّأَخُّرِ الْعَقْلِيِّ؟

ـ انْخِفَاضٌ مَلْحُوظٌ أَوْ وَاضِحٌ فِي الْقُدُرَاتِ الْعَقْلِيَّةِ، مَصْحُوبٌ بِقُصُورٍ فِي الْمَهَارَاتِ التَّكَيُّفِيَّةِ.

ـ هَلِ الْمَقْصُودُ بِالْقُدُرَاتِ الْعَقْلِيَّةِ الذَّكَاءُ؟

ـ نَعَمْ؛ فَالذَّكَاءُ لَيْسَ قُدْرَةً وَاحِدَةً، بَلْ عِدَّةُ قُدُرَاتٍ.

ـ وَمَا الْمَقْصُودُ بِالْمَهَارَاتِ التَّكَيُّفِيَّةِ؟

ـ الْمَهَارَاتُ الَّتِي نَحْتَاجُ إِلَيْهَا فِي حَيَاتِنَا الْيَوْمِيَّةِ، لِكَيْ نَتَفَاعَلَ بِكَفَاءَةٍ مَعَ الْبِيئَةِ مِنْ حَوْلِنَا، كَالْمَهَارَاتِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ عِنْدَ التَّفَاعُلِ مَعَ الْآخَرِينَ، وَالْمَهَارَاتِ الْخَاصَّةِ بِالرِّعَايَةِ الذَّاتِيَّةِ، كَاعْتِمَادِ الطِّفْلِ عَلَى نَفْسِهِ فِي أَثْنَاءِ تَنَاوُلِ الطَّعَامِ، وَاعْتِنَائِهِ بِنَظَافَتِهِ الشَّخْصِيَّةِ، وَحِمَايَةِ نَفْسِهِ مِنَ الْمَخَاطِرِ... إلخ، وَمَهَارَاتِ

التَّوَاصُلِ اللَّفْظِـيِّ، وَغَيْرِ اللَّفْظِيِّ مَعَ الْآخَرِينَ؛ فَنَحْـنُ لَا نَتَوَاصَلُ مَعَ مَنْ حَوْلَنَا بِالْكَلِمَاتِ فَقَطْ، وَلَكِنَّنَا نَتَوَاصَلُ بِدُونِ اسْتِخْدَامِ كَلِمَاتٍ كَذَلِكَ، مِثْلَمَا يَحْـدُثُ مَثَلًا عِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى بَعْضِنَا، لِنُعَبِّرَ عَنْ شَـيْءٍ مُعَيَّنٍ، فَتَكُونُ لُغَةُ الْعَيْـنِ بَدِيـلًا لِلُّغَةِ الْمَنْطُوقَةِ، كَذَلِـكَ تَعْبِيرَاتُ الْوَجْهِ قَـدْ تُعَبِّرُ عَمَّا يَدُورُ بِدَاخِلِنَا دُونَ أَنْ نُضْطَرَّ إِلَى اسْتِخْدَامِ كَلِمَاتٍ مَنْطُوقَةٍ، وَغَيْرِهَا.

ـ إِذَنِ الْمُتَأَخِّرُ هُوَ الَّذِي يُعَانِي انْخِفَاضًا مَلْحُوظًا فِي الذَّكَاءِ.

ـ لَا يَا «مَرْوَةُ» هَذَا لَيْسَ كَافِيًا؛ نَحْنُ نَضَعُ شَـرْطَيْنِ فِي اعْتِبَارِنَا: انْخِفَاضُ الذَّكَاءِ أَحَدُ الشَّرْطَيْنِ، وَالشَّرْطُ الْآخَرُ مَا هُوَ؟ مَنْ مِنْكُمْ يُجِيبُ؟

ـ انْخِفَاضُ كَفَاءَةِ الْمَهَارَاتِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ. أَقْصِدُ التَّكَيُّفِيَّةَ.

ـ بِالضَّبْطِ هَذَا صَحِيحٌ.

ـ وَهَـذَانِ الشَّـرْطَانِ مُتَوَافِرَانِ فِي «أَمِينٍ»؛ فَهُوَ يُعَانِـي انْخِفَاضًا مَلْحُوظًا فِي الـذَّكَاءِ، بِالْإِضَافَـةِ إِلَى قُصُـورٍ فِي مَهَارَاتِهِ التَّكَيُّفِيَّةِ، فَهُوَ لَا يَسْـتَطِيعُ أَنْ يَتَفَاعَـلَ مَعَ الْآخَرِينَ بِكَفَاءَةٍ، كَمَا أَنَّهُ لَا يَسْـتَطِيعُ الِاعْتِنَاءَ بِنَفْسِـهِ فِي أَثْنَـاءِ الْأَكْلِ، أَوْ فِي الْحَمَّامِ، وَلَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَلْبَسَ بِنَفْسِـهِ... إلخ، كَمَا أَنَّهُ لَا يَتَوَاصَلُ مَعَ الْآخَرِينَ بِشَكْلٍ مُلَائِمٍ.

ـ إِذَنْ هُوَ؟

ـ هُوَ مَاذَا يَا «مَرْوَةُ»؟

ـ لَمْ أَنْسَ يَا عَمَّةُ. هُوَ طِفْلٌ «مُخْتَلِفٌ».

ـ أَشْكُرُكِ يَا «مَرْوَةُ».

ـ وَهَلْ تَحْكُمِينَ عَلَى الطِّفْلِ بِأَنَّهُ «مُخْتَلِفٌ» مِنْ مُلَاحَظَةِ حَضْرَتِكِ لِتَصَرُّفَاتِهِ فَقَطْ؟

ـ لَا يَا «مَيُّ».. عِنْدَمَا يَذْهَبُ مَرِيضٌ إِلَى طَبِيبِ الْعُيُونِ مَثَلًا، هَلْ يَحْكُمُ عَلَى الْمَرِيضِ أَنَّهُ يُعَانِي قُصُورًا شَـدِيدًا فِي الْإِبْصَـارِ بِالِاعْتِمَادِ عَلَى الْمُلَاحَظَةِ الشَّخْصِيَّةِ لَهُ، أَمْ أَنَّهُ يَقِيسُ، أَوْ بِمَعْنَى أَدَقَّ يَخْتَبِرُ دِقَّةَ إِبْصَارِهِ؟

ـ يَخْتَبِرُ دِقَّةَ إِبْصَارِهِ أَوَّلًا.

ـ كَذَلِـكَ نَحْنُ لَا نَحْكُمُ عَلَى الطِّفْلِ بِأَنَّهُ «مُخْتَلِفٌ» بِالِاعْتِمَادِ عَلَى الْمُلَاحَظَةِ بِالْعَيْنِ فَقَطْ، وَلَكِنَّنَا نَسْتَخْدِمُ أَدَوَاتٍ وَمَقَايِيسَ عِلْمِيَّةً، تُحَدِّدُ لَنَا تَحْدِيدًا دَقِيقًا دَرَجَةَ الْإِعَاقَةِ الْعَقْلِيَّةِ عِنْدَ الطِّفْلِ، وَكَذَلِكَ دَرَجَةَ إِعَاقَتِهِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ.

ـ وَهَلْ لِلْإِعَاقَةِ الْعَقْلِيَّةِ دَرَجَاتٌ؟

ـ نَعَمْ؛ يُمْكِنُ تَصْنِيـفُ الْأَطْفَالِ الَّذِينَ يُعَانُونَ إِعَاقَةً عَقْلِيَّةً إِلَى فِئَاتٍ أَرْبَعٍ، هِيَ: إِعَاقَةٌ بَسِـيطَةٌ؛ وَتَتَـرَاوَحُ نِسْـبَةُ ذَكَاءِ الطِّفْلِ فِيهَا مِنْ 50 % حَتَّى 70 % وَيَكُـونُ قَابِلًا لِلتَّعَلُّمِ. وَإِعَاقَةٌ عَقْلِيَّةٌ مُتَوَسِّـطَةٌ؛ وَتَتَرَاوَحُ نِسْـبَةُ ذَكَاءِ الطِّفْـلِ فِيهَـا مِنْ 35 % حَتَّى 50 %، وَيَكُـونُ قَابِلًا لِلتَّدْرِيبِ عَلَى بَعْضِ الْحِرَفِ الْبَسِـيطَةِ. وَإِعَاقَةٌ عَقْلِيَّةٌ شَـدِيدَةٌ؛ وَتَتَرَاوَحُ نِسْـبَةُ ذَكَاءِ الطِّفْـلِ فِيهَـا مِنْ 20 % حَتَّى 35 %، وَلَا يَسْـتَطِيعُ الطِّفْلُ الَّذِي يُعَانِي إِعَاقَةً عَقْلِيَّةً شَدِيدَةً التَّعَلُّمَ أَوِ التَّدْرِيبَ؛ نَظَرًا لِشِدَّةِ الْإِعَاقَةِ. وَإِعَاقَةٌ عَقْلِيَّةٌ بَالِغَةُ الشِّدَّةِ؛ وَتَكُونُ نِسْبَةُ ذَكَاءِ الطِّفْلِ فِيهَا أَقَلَّ مِنْ 20 %.

ـ وَهَلْ تُفِيدُنَا مَعْرِفَةُ دَرَجَةِ الْإِعَاقَةِ يَا عَمَّةُ؟

ـ طَبْعًا يَا «مُرَادُ».. تُفِيدُنَا فِي تَحْدِيدِ طَبِيعَةِ الْبَرْنَامَجِ التَّعْلِيمِيِّ، الَّذِي يُقَدَّمُ لِلْأَطْفَـالِ الْمُخْتَلِفِينَ، فَالْبَرْنَامَـجُ الَّذِي يُقَدَّمُ لِطِفْلٍ ذِي إِعَاقَةٍ شَـدِيدَةٍ، يَخْتَلِفُ كَثِيرًا عَنِ الْبَرْنَامَجِ الْمُقَدَّمِ لِطِفْلٍ ذِي إِعَاقَةٍ بَسِيطَةٍ.

ـ وَهَلْ يُشْفَى هَؤُلَاءِ الْأَطْفَالُ مِنْ هَذِهِ الْإِعَاقَةِ تَمَامًا وَيُصْبِحُونَ مِثْلَنَا؟

ـ لَا يَا «هُدَى». نَحْنُ نُؤَهِّلُهُمْ لِلتَّعَايُشِ وَالتَّوَافُقِ فِي ظِلِّ تِلْكَ الْإِعَاقَةِ. وَنُحَاوِلُ اكْتِشَافَ مَظَاهِرِ التَّمَيُّزِ لَدَيْهِمْ، وَنَسْتَثْمِرُهَا أَفْضَلَ اسْتِثْمَارٍ مُمْكِنٍ، مَهْمَا كَانَتْ مَحْدُودَةً.

ـ إِذَنْ لَيْسَ مُتَوَقَّعًا أَنْ يُشْفَى «مِيمُو» مِنَ الْإِعَاقَةِ؟

ـ هُوَ لَنْ يُشْفَى مِنَ الْإِعَاقَةِ، لَكِنَّهُ سَيُصْبِحُ أَكْفَأَ مِمَّا هُوَ عَلَيْهِ إِذَا تَعَلَّمَ.

ـ وَهَلْ سَيَدْرُسُ الْبَرَامِجَ الدِّرَاسِيَّةَ الَّتِي نَدْرُسُهَا؟

ـ لَا.. تَرْكِيزُنَا يَكُونُ فِي الْأَسَاسِ عَلَى الْمَهَارَاتِ الْحَيَاتِيَّةِ، نُعَلِّمُهُ كَيْفِيَّةَ الِاعْتِنَاءِ بِنَفْسِهِ، وَحِمَايَةَ نَفْسِهِ مِنَ الْمَخَاطِرِ، كَمَا نُعَلِّمُهُ بَعْضَ الْمَهَارَاتِ الْحِرْفِيَّةِ، وَفِي حَالَةِ الْأَطْفَالِ الَّذِينَ يُعَانُونَ إِعَاقَةً عَقْلِيَّةً بَسِيطَةً؛ يُمْكِنُ تَعْلِيمُهُمْ بَعْضَ مَبَادِئِ الْقِرَاءَةِ وَالْحِسَابِ.

ـ هَلِ الْأَسْبَابُ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَى الْإِعَاقَةِ تَكُونُ وَاحِدَةً؟

ـ لَا.. لَيْسَتْ وَاحِدَةً، وَهِيَ تَخْتَلِفُ مِنْ حَالَةٍ إِلَى أُخْرَى، وَعُمُومًا يُمْكِنُ تَصْنِيفُهَا إِلَى خَمْسِ فِئَاتٍ، هِيَ: أَسْبَابٌ وِرَاثِيَّةٌ، وَأَسْبَابٌ خَاصَّةٌ بِمَرْحَلَةِ مَا قَبْلَ الْوِلَادَةِ، وَأَسْبَابٌ خَاصَّةٌ بِمَرْحَلَةِ الْوِلَادَةِ نَفْسِهَا، أَيْ فِي أَثْنَاءِ الْوِلَادَةِ، وَأَسْبَابٌ خَاصَّةٌ بِمَرْحَلَةِ مَا بَعْدَ الْوِلَادَةِ، وَأَخِيرًا أَسْبَابٌ ثَقَافِيَّةٌ وَبِيئِيَّةٌ.

ـ وَمَا هِيَ الْعَوَامِلُ الْوِرَاثِيَّةُ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَى إِصَابَةِ الطِّفْلِ بِالْإِعَاقَةِ الْعَقْلِيَّةِ؟

ـ بَعْضُ الشُّذُوذِ الَّذِي يَحْدُثُ فِي الْكُرُومُوزُومَاتِ الْوِرَاثِيَّةِ فِي أَثْنَاءِ انْقِسَامِ الْخَلِيَّةِ، خِلَالَ عَمَلِيَّةِ الْإِخْصَابِ (أَيْ تَكَوُّنِ الْجَنِينِ) وَهَذَا يُحْدِثُ تَأَخُّرًا عَقْلِيًّا بَسِيطًا.

ـ وَمَا الْمَقْصُودُ بِالْأَسْبَابِ الْخَاصَّةِ بِمَرْحَلَةِ مَا قَبْلَ الْوِلَادَةِ؟

ـ هِيَ تَتَّصِلُ بِكُلِّ الْمُؤَثِّرَاتِ الَّتِي تَتَعَرَّضُ لَهَا الْأُمُّ، فِي أَثْنَاءِ فَتْرَةِ الْحَمْلِ،

مِثْـلَ إِصَابَتِهَا بِبَعْضِ الْأَمْرَاضِ فِي أَثْنَاءِ الْحَمْلِ كَالْحَصْبَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ مَثَلًا، أَوْ عَدَمِ اعْتِنَائِهَا بِغِذَائِهَا، أَوْ تَنَاوُلِهَا بَعْضَ الْأَدْوِيَةِ فِي أَثْنَاءِ الْحَمْلِ.

- وَمَاذَا عَنِ الْأَسْبَابِ الَّتِي تَحْدُثُ فِي أَثْنَاءِ الْوِلَادَةِ يَا عَمَّةُ؟
- هِيَ كَثِيرَةٌ يَا «هُدَى».. أَذْكُرُ مِنْهَا حُدُوثَ نَقْصٍ فِي الْأُكْسُجِينِ الَّذِي يَصِلُ إِلَى الْوَلِيدِ، أَوِ اسْتِخْدَامُ الطَّبِيبِ الْآلَاتِ الْحَادَّةَ فِي أَثْنَاءِ عَمَلِيَّةِ الْوِلَادَةِ.
- يَأْتِي دَوْرُ الْأَسْبَابِ الَّتِي تَحْدُثُ بَعْدَ الْوِلَادَةِ.
- نَعَمْ يَا «مُرَادُ» الْأَمْثِلَةُ كَثِيرَةٌ؛ مِنْهَا سُوءُ التَّغْذِيَةِ، وَتَعَرُّضُ الطِّفْلِ لِحَادِثٍ نَتَجَ عَنْهُ إِصَابَةٌ فِي الْمُخِّ؛ كَسُـقُوطِهِ مَثَلًا مِنَ الشُّـرْفَةِ، وَإِصَابَتِهِ بِبَعْضِ الْأَمْرَاضِ فِي أَثْنَاءِ مَرْحَلَةِ الطُّفُولَةِ، كَالْحُمَّى الشَّوْكِيَّةِ أَوِ الِالْتِهَابِ الدِّمَاغِيِّ السُّحَائِيِّ، خَاصَّةً إِذَا لَمْ يَتِمَّ عِلَاجُهُ مُبَكِّرًا.
- وَمَا الْمَقْصُودُ بِالْأَسْبَابِ الثَّقَافِيَّةِ وَالْبِيئِيَّةِ؟
- هِـيَ كَثِيرَةٌ.. أَذْكُرُ مِنْهَا عَـدَمَ الرِّعَايَةِ الْمُلَائِمَةِ لِلطِّفْلِ، وَسُـوءَ مُعَامَلَتِهِ، وَإِهْمَالَهُ، وَنَقْصَ الْخِبْرَاتِ التَّعْلِيمِيَّةِ الَّتِي يَتَعَرَّضُ لَهَا.
- وَحَالَةُ «أَمِينٍ» تُصَنَّفُ ضِمْنَ أَيَّةِ فِئَةٍ؟
- لَـنْ يُمْكِنَنِي الْحُكْمُ مِـنْ خِلَالِ كَلَامِكُمْ. يَنْبَغِي أَنْ أُقَابِـلَ وَالِدَتَهُ وَوَالِدَهُ، وَأَطَّلِعَ عَلَى التَّقَارِيرِ الطِّبِّيَّةِ الْخَاصَّةِ بِهِ.
- وَهَلْ سَيَتَحَسَّنُ بِالْفِعْلِ؟
- لَنْ أُجِيبَ عَنْ سُؤَالِكَ بِالْكَلِمَاتِ.. تَعَالَوْا مَعِي الْآنَ لِتُشَاهِدُوا عَلَى الطَّبِيعَةِ.

قَامَ الْأَصْدِقَاءُ الْخَمْسَـةُ، وَمَعَهُمْ وَالِدَةُ «أَحْمَدَ» وَالسَّـيِّدَةُ «إِيمَانُ» لِتَفَقُّدِ الْجَمْعِيَّـةِ. تَنَامَـتْ إِلَى أَسْـمَاعِهِمْ نَغَمَاتٌ مُوسِـيقِيَّةٌ، مُنْبَعِثَةٌ مِـنَ الْحُجْرَةِ الْمُجَاوِرَةِ. بَدَأَتِ السَّيِّدَةُ «إِيمَانُ» جَوْلَتَهَا بِحُجْرَةِ الْمُوسِيقَى. كَانَ بِالْحُجْرَةِ

عَشَـرَةُ أَطْفَالٍ مِنْ مُخْتَلِفِ الْأَعْمَارِ، يُرَدِّدُونَ مَعَ الْمُدَرِّسَةِ نَشِيدًا جَمِيلًا عَنْ أَهَمِّيَّةِ النَّظَافَةِ.

بِمُجَـرَّدِ أَنْ دَخَلَـتِ السَّـيِّدَةُ «إِيمَانَ» الْحُجْـرَةَ، انْدَفَعَ الْأَطْفَـالُ نَحْوَهَا، وَتَعَلَّقُوا بِهَـا، فَقَبَّلَتْ كُلًّا مِنْهُمْ، وَطَلَبَتْ مِنْهُمْ تَرْدِيدَ النَّشِـيدِ الْجَمِيلِ الَّذِي كَانُوا يُنْشِدُونَهُ، فَوَقَفَ الْأَطْفَالُ فِي سَعَادَةٍ بَالِغَةٍ صَفًّا وَاحِدًا، يُغَنُّونَ النَّشِيدَ فِي بَرَاءَةٍ طُفُولِيَّةٍ، وَهُمْ يَبْتَسِمُونَ لِلْأَصْدِقَاءِ الْخَمْسَةِ.

ثُمَّ انْتَقَلَتْ بِهِمْ إِلَى حُجْرَةٍ أُخْرَى، وَهِيَ الْمَطْعَمُ، فَشَاهَدُوا الْمُشْرِفَةَ وَهِيَ تُعَلِّمُ مَجْمُوعَةً أُخْرَى مِنَ الْأَطْفَالِ كَيْفِيَّةَ تَنَاوُلِ الطَّعَامِ بِأَنْفُسِـهِمْ، ثُمَّ كَانَتْ جَوْلَتُهُـمُ الثَّالِثَةُ فِي أَحَدِ الْفُصُولِ التَّعْلِيمِيَّةِ؛ فَشَـاهَدُوا كَيْفِيَّةَ تَعَلُّمِ الْأَطْفَالِ الْمُخْتَلِفِينَ الْحُرُوفَ الْهِجَائِيَّةَ. كَانَتِ الْمُعَلِّمَةُ تُعَلِّمُهُمْ بِأُسْـلُوبٍ شَيِّقٍ جِدًّا؛ حَيْـثُ كَانَتْ تَسْـتَخْدِمُ أَسَـالِيبَ تَعْلِيمِيَّةً مُبْتَكَرَةً، وَتَسْـمَحُ لِـكُلِّ طِفْلٍ أَنْ يُشَـارِكَ. وَكَانَ أَوَّلَ مَا لَفَـتَ انْتِبَاهَهُمْ هُوَ اعْتِمَـادُ الْمُعَلِّمَةِ فِي تَعْلِيمِهِمْ عَلَى اسْتِخْدَامِ أَكْثَرَ مِنْ حَاسَّةٍ.

وَأَخِيرًا انْتَقَلُوا إِلَى الْمَلْعَبِ. كَانَ مَنْظَرُ الْأَطْفَالِ بَدِيعًا، وَهُمْ يُؤَدُّونَ التَّمَارِينَ الرِّيَاضِيَّةَ. أَحَسَّ الْأَصْدِقَاءُ الْخَمْسَةُ بِتَفَاؤُلٍ شَدِيدٍ؛ «نَعَمْ بِإِمْكَانِ «أَمِينٍ» أَنْ يَتَعَلَّمَ الْكَثِيرَ فِي هَذَا الْمَكَانِ الْمُبْهِرِ، وَإِنْ شَاءَ اللَّهُ سَيُصْبِحُ أَفْضَلَ».

هَكَذَا قَالَ كُلٌّ مِنْهُمْ لِنَفْسِهِ.

عَادَ الْأَصْدِقَاءُ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى حُجْرَةِ السَّيِّدَةِ «إِيمَانَ»، فَابْتَدَرَتْهُمْ قَائِلَةً:

ـ أَرَأَيْتُمْ بِأَنْفُسِكُمْ أَنَّهُمْ أَفْضَلُ كَثِيرًا مِنْ أَيِّ طِفْلٍ فِي مِثْلِ حَالَتِهِمْ لَا يَتَعَلَّمُ!

ـ بِالْفِعْلِ يَا عَمَّةُ. نَحْنُ مَبْهُورُونَ بِمَا شَاهَدْنَاهُ.

ـ كُلُّ هَذَا الْفَضْلِ لِلْعِلْمِ وَحْدَهُ يَا عَمَّةُ.

ـ لَا يَا «مَيُّ» الْعِلْمُ وَحْدَهُ لَيْسَ كَافِيًا، لَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يَتَزَوَّدَ حَامِلُ الْعِلْمِ فِي مَجَالِنَا بِسِلَاحَيْنِ آخَرَيْنِ، أَرَى فِي تَصَوُّرِي أَنَّ لَهُمَا تَأْثِيرًا سِحْرِيًّا.

ـ وَمَا هُمَا هَذَانِ السِّلَاحَانِ؟

ـ الْحُبُّ وَالتَّقَبُّلُ.

ـ الْحُبُّ نَعْرِفُهُ، وَلَمَسْنَاهُ هُنَا فِي كُلِّ مَكَانٍ شَاهَدْنَاهُ. فَمَا الْمَقْصُودُ بِالتَّقَبُّلِ؟

ـ لَا يَكْفِي يَا «مَرْوَةُ» أَنْ نُحِبَّ هَؤُلَاءِ الْأَطْفَالَ، لَكِنْ يَنْبَغِي كَذَلِكَ أَنْ نَتَقَبَّلَهُمْ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ؛ فَلَا نَشْعُرَ بِالْخَجَلِ مِنِ اصْطِحَابِهِمْ مَعَنَا، مَهْمَا بَدَرَ مِنْهُمْ مِنْ تَصَرُّفَاتٍ قَدْ لَا تَتَنَاسَبُ فِي أَحْيَانٍ كَثِيرَةٍ مَعَ سِنِّهِمْ.

ـ عِنْدَكِ حَقٌّ يَا عَمَّةُ، وَتَجْرِبَتُنَا الْمُتَوَاضِعَةُ مَعَ «أَمِينٍ» تُؤَكِّدُ كَلَامَ حَضْرَتِكِ.

ـ لَقَدِ اشْتَقْتُ لِرُؤْيَةِ «أَمِينٍ» مِنْ كَثْرَةِ مَا سَمِعْتُ عَنْهُ. إِنِّي أَدْعُوكُمْ مِنَ الْآنَ لِلْحَفْلِ السَّنَوِيِّ الَّذِي تُقِيمُهُ الْجَمْعِيَّةُ سَنَوِيًّا لِأَبْنَاءِ الْجَمْعِيَّةِ، فِي أَوَائِلِ شَهْرِ أُكْتُوبَرَ الْمُقْبِلِ، وَأَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ «أَمِينٌ» وَقْتَهَا مِنْ بَيْنِ الْأَطْفَالِ الْمُشَارِكِينَ فِي الْحَفْلِ.

ـ هَذَا حُلْمٌ بَعِيدٌ بَعِيدٌ.

ـ أَحْسِنِي الظَّنَّ بِاللَّهِ يَا «هُدَى» وَتَفَاءَلِي خَيْرًا.

انْصَرَفَ الْأَصْدِقَاءُ الْخَمْسَةُ مِنْ جَمْعِيَّةِ «بَشَائِرُ الْخَيْرِ»، وَكُلٌّ مِنْهُمْ يُفَكِّرُ، وَيَحْلُمُ: أَيُمْكِنُ لِـ «أَمِينٍ» أَنْ يَتَعَلَّمَ حَقًّا؟ وَهَلْ سَيَأْتِي يَوْمٌ يَكُونُ فِيهِ «أَمِينٌ» نَجْمًا لَامِعًا فِي حَفْلٍ عَامٍّ؟! وَظَلَّتْ عُقُولُهُمُ الصَّغِيرَةُ تُحَلِّقُ بَعِيدًا بَعِيدًا، تُدَاعِبُهَا أَحْلَامٌ صَغِيرَةٌ.. هِيَ مُجَرَّدُ أَحْلَامٍ عَادِيَّةٍ، بِالْإِمْكَانِ تَحَقُّقُهَا، لَوْ كُنَّا بِصَدَدِ طِفْلٍ عَادِيٍّ! وَلَكِنَّ «أَمِينًا» طِفْلٌ مُخْتَلِفٌ. فَهَلْ تَتَحَقَّقُ أَحْلَامُهُمُ الصَّغِيرَةُ، وَتَتَفَتَّحُ زُهُورُ بُسْتَانِ «أَمِينٍ»، وَيَفُوحُ شَذَاهَا، لِتُعْلِنَ لِلْجَمِيعِ أَنَّهُ لَا يَأْسَ مَعَ الْحَيَاةِ؟!

الْفَصْلُ الْخَامِسُ

الْبِدَايَةُ الصَّحِيحَةُ

1

بَدَأَتْ أَشِعَّةُ الشَّمْسِ تَنْشُرُ أَشِعَّتَهَا الذَّهَبِيَّةَ فِي الْأُفُقِ، فَاسْتَيْقَظَ «أَحْمَدُ» مِنْ نَوْمِهِ، وَأَسْرَعَ إِلَى سَرِيرِ «هُدَى» لِيُوقِظَهَا.

ـ «هُدَى» اسْتَيْقِظِي.

ـ أَنَا اسْتَيْقَظْتُ بِالْفِعْلِ يَا «أَحْمَدُ».

ـ إِذَنْ أَسْرِعِي، وَجَهِّزِي نَفْسَكِ، وَلَا تَنْسَيْ أَنَّ مِيعَادَ الْعَمَّةِ «إِيمَانَ» فِي تَمَامِ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ وَالنِّصْفِ.

ـ سَأَكُونُ جَاهِزَةً خِلَالَ خَمْسِ دَقَائِقَ.

اتَّجَهَ «أَحْمَدُ» إِلَى الْحَمَّامِ لِيَتَوَضَّأَ، وَيُؤَدِّيَ صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ اتَّجَهَ إِلَى دُولَابِ مَلَابِسِهِ، وَبَدَأَ يَرْتَدِي مَلَابِسَهُ، وَكَذَلِكَ «هُدَى»، وَخِلَالَ الزَّمَنِ الْمُحَدَّدِ كَانَ الِاثْنَانِ مُسْتَعِدَّيْنِ، وَقَدْ سَبَقَتْهُمَا وَالِدَتُهُمَا إِلَى شَقَّةِ «أَمِينٍ». عِنْدَمَا دَقَّتِ السَّاعَةُ التَّاسِعَةَ، كَانَ الْجَمِيعُ دَاخِلَ السَّيَّارَةِ، الَّتِي سَتُوَصِّلُهُمْ إِلَى جَمْعِيَّةِ «بَشَائِرُ الْخَيْرِ» حَيْثُ تَعْمَلُ الْعَمَّةُ «إِيمَانُ».

وَهَا هِيَ السَّـيَّارَةُ تَنْطَلِقُ مُسْرِعَةً فِي ضَوَاحِي الْمَعَادِي، وَ«مِيمُو» يَجْلِسُ بِجِـوَارِ النَّافِـذَةِ، يَتَأَمَّلُ كُلَّ مَا تَقَعُ عَلَيْهِ عَيْنَاهُ بِانْبِهَارٍ وَدَهْشَـةٍ؛ فَـ«أَمِينٌ» نَادِرًا مَا يَخْرُجُ، وَبِجَانِبِهِ جَلَسَتْ وَالِدَتُهُ تَتَأَمَّلُهُ فِي حُبٍّ وَصَمْتٍ. كَانَتْ وَالِدَةُ «أَحْمَدَ» مُنْهَمِكَةً فِي قِرَاءَةِ إِحْدَى الصُّحُفِ الْيَوْمِيَّةِ، أَمَّا «أَحْمَدُ» فَكَانَ غَارِقًا فِي أَفْكَارِهِ، كَانَ يَتَخَيَّلُ «أَمِينًا» وَقَدْ أَصْبَحَ رَسَّـامًا عَالَمِيًّا، وَتَارَةً أُخْرَى يَتَخَيَّلُهُ شَـابًّا يَافِعًا نَاجِحًا، يَجْلِسُ بَيْنَهُمْ، وَيُحَدِّثُهُمْ بِطَلَاقَةٍ عَنْ نَجَاحَاتِهِ الْيَوْمِيَّةِ. تُرَى هَلْ تَتَحَسَّـنُ يَا «مِيمُو»؟ وَكَمْ سَيَسْتَغْرِقُ هَذَا شُهُورًا أَمْ سِنِينَ؟! وَمَنْ يَدْرِي قَدْ لَا تَتَحَسَّنُ عَلَى الْإِطْلَاقِ!

هَزَّ «أَحْمَدُ» رَأْسَـهُ مُسْتَنْكِرًا شُكُوكَهُ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: «الْعَمَّةُ إِيمَانُ أَكَّدَتْ أَنَّهُ سَيَتَحَسَّـنُ، وَلَكِنْ لَنْ يُشْفَى تَمَامًا، وَقَلْبِي يُحَدِّثُنِي أَنَّ كَلَامَهَا سَيَتَحَقَّقُ بِإِذْنِ اللَّهِ؛ لِأَنَّنَا لَا يَنْبَغِي أَنْ نَقْنَطَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ».

أَفَـاقَ «أَحْمَدُ» مِـنْ أَحْلَامِهِ، عَلَى يَدِ «هُـدَى» الَّتِي تَحُثُّهُ عَـلَى النُّزُولِ مِنَ السَّيَّارَةِ.

ـ لَقَدْ وَصَلْنَا يَا «أَحْمَدُ».

أَسْـرَعَ الْحَارِسُ الْعَجُوزُ لِإِخْبَارِ السَّـيِّدَةِ «إِيمَانَ» بِوُصُولِهِمْ، وَكَعَادَتِهَا اسْتَقْبَلَتْهُمْ بِحَفَاوَةٍ بَالِغَةٍ، وَابْتِسَامَتِهَا الْجَمِيلَةِ الَّتِي لَا تُفَارِقُ مُحَيَّاهَا. كَانَ «أَحْمَدُ» مُمْسِكًا بِيَدِ «أَمِينٍ»، وَكَانَ «أَمِينٌ» يَنْظُرُ بِقَلَقٍ لِكُلِّ مَنْ حَوْلَهُ. سَادَتْ فَتْرَةُ صَمْتٍ قَصِيرَةٌ، قَطَعَتْهَا السَّيِّدَةُ «إِيمَانُ» بِقَوْلِهَا:

ـ أَخِيرًا شَاهَدْتُكَ يَا «مِيمُو». لَقَدْ سَمِعْتُ كَثِيرًا عَنْكَ، وَكُنْتُ أَتَمَنَّى أَنْ أَرَاكَ.

ثُـمَّ اقْتَرَبَتْ مِنْ «أَمِينٍ»، وَرَبَّتَـتْ عَلَى كَتِفِهِ، وَقَبَّلَتْهُ فِي رَأْسِـهِ، ثُمَّ فَتَحَتْ ذِرَاعَيْهَـا، وَدَعَتْـهُ لِتَقْبِيلِهَا، فَتَحَرَّكَ «أَمِينٌ» مُتَوَجِّسًـا، فَشَـجَّعَهُ «أَحْمَدُ»،

فَاقْتَرَبَ مِنْهَا، فَاحْتَوَتْهُ فِي حِضْنِهَا بِحَنَانٍ بَالِغٍ، ثُمَّ أَخْرَجَتْ مِنْ دُرْجِ مَكْتَبِهَا حَقِيبَةَ هَدَايَا مَلِيئَةً بِالْحَلْوَى، وَالْبَالُونَاتِ الْمُلَوَّنَةِ، فَتَهَلَّلَتْ أَسَارِيرُهُ، وَنَظَرَ لِوَالِدَتِهِ، فَشَجَّعَتْهُ عَلَى أَخْذِهَا، ثُمَّ قَالَتْ لَهُ:

ـ مَرْحَبًا بِالتِّلْمِيذِ الْجَدِيدِ.. سَتَسْعَدُ بَيْنَنَا يَا «مِيمُو».

فَرَدَّتْ وَالِدَتُهُ:

ـ أَتَمَنَّى ذَلِكَ.

ـ لَا تَقْلَقِي.. كُلُّ الْأُمُورِ تَنْتَظِمُ تَدْرِيجِيًّا.

ـ وَمَا الْخُطْوَةُ الْأُولَى؟

ـ سَنَبْدَأُ الْآنَ فِي إِعْدَادِ مِلَفٍّ لِتِلْمِيذِنَا الْحَبِيبِ.

ـ مِلَفٌّ؟

ـ طَبْعًا.. يَنْبَغِي أَنْ نُصْدِرَ قَرَارَاتٍ صَحِيحَةً، تَتَنَاسَبُ مَعَ طَبِيعَةِ حَالَتِهِ. وَلِهَذَا سَنَبْدَأُ بِطَبِيبِ الْأَعْصَابِ الَّذِي سَيُجْرِي الْكَشْفَ عَلَيْهِ، لِيُحَدِّدَ أَنْسَبَ الْأَسَالِيبِ الْعِلَاجِيَّةِ، الَّتِي قَدْ يَحْتَاجُ إِلَيْهَا مُسْتَقْبَلًا، كَمَا سَيُحَوَّلُ إِلَى إِخْصَائِيِّ الْعِلَاجِ الطَّبِيعِيِّ، لِيُحَدِّدَ إِنْ كَانَ فِي حَاجَةٍ إِلَى جَلَسَاتِ عِلَاجٍ طَبِيعِيٍّ أَمْ لَا. أَنَا أُلَاحِظُ أَنَّ خُطُوَاتِهِ غَيْرُ مُنْتَظِمَةٍ بَعْضَ الشَّيْءِ.

ـ بِالْفِعْلِ كَانَتْ لَدَيْهِ مُشْكِلَاتٌ فِي عَضَلَاتِ قَدَمَيْهِ، وَكَانَ يَتَلَقَّى جَلَسَاتِ عِلَاجٍ طَبِيعِيٍّ مُنْذُ وِلَادَتِهِ، وَيَتَحَسَّنُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ.

ـ حَسَنًا.. وَفَّرْتَ عَلَيْنَا جُهْدًا كَبِيرًا.

ـ وَمَاذَا بَعْدَ ذَلِكَ؟

ـ سَيُقَابِلُ الْإِخْصَائِيَّةَ الِاجْتِمَاعِيَّةَ، وَهِيَ أَحَدُ أَعْضَاءِ فَرِيقِ الْعَمَلِ، الَّذِي سَيَتَوَلَّى رِعَايَتَهُ، لِتُعِدَّ تَقْرِيرًا اجْتِمَاعِيًّا عَنِ الظُّرُوفِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ

لِـ«أَمِينٍ»، ثُمَّ سَأَكُونُ أَنَا آخِرَ مَنْ يَرَاهُ، حَيْثُ سَأَقِيسُ نِسْبَةَ ذَكَائِهِ الْعَقْلِيِّ وَالِاجْتِمَاعِيِّ، ثُمَّ نَضَعُ لَهُ بَرْنَامَجًا تَدْرِيبِيًّا لِتَأْهِيلِهِ.

ـ أَعْتَقِدُ أَنَّ هَذَا سَيَكُونُ صَعْبًا جِدًّا؛ لِأَنَّهُ لَنْ يَتَجَاوَبَ مَعَكَ بِسُهُولَةٍ.

ـ لَا تَقْلَقِـي.. هَـذَا عَمَلِي.. بَعْـضُ الْبَيَانَاتِ سَـأَحْصُلُ عَلَيْهَا مِـنْ خِلَالِكِ، وَبَعْضُهَا الْآخَرُ سَيَكُونُ مِنْ «مِيمُو» شَخْصِيًّا.

ـ وَهَلْ يَسْتَطِيعُ طِفْلٌ فِي مِثْلِ حَالَتِهِ أَنْ يَتَفَهَّمَ هَذَا؟

ـ لَا تَقْلَقِي.. مُعْظَمُ مَقَايِيسِـنَا النَّفْسِـيَّةِ الْخَاصَّةِ بِالْأَطْفَالِ شَـبِيهَةٌ بِلُعَبِ الْأَطْفَالِ الْمَأْلُوفَةِ، الَّتِي يَسْتَخْدِمُهَا الطِّفْلُ فِي حَيَاتِهِ الْيَوْمِيَّةِ.

ـ لَا أَدْرِي مَاذَا أَقُولُ لَكَ. جَزَاكِ اللَّهُ عَنَّا كُلَّ خَيْرٍ.

ـ هَذَا وَاجِبٌ. فَلَا تَشْكُرِينِي عَلَى وَاجِبٍ.

2

اتَّجَهَتِ السَّـيِّدَةُ «مُنَى» إِلَى طَبِيبِ الْأَعْصَابِ الَّذِي أَجْرَى الْكَشْـفَ الطِّبِّيَّ عَلَى «أَمِينٍ»، وَأَكَّدَ أَنَّ إِعَاقَتَهُ لَيْسَـتْ شَـدِيدَةً، ثُمَّ شَـاهَدَهُ إِخْصَائِيُّ الْعِلَاجِ الطَّبِيعِيِّ بَعْدَ يَوْمَيْنِ، وَطَلَبَ مِنْ وَالِدَتِهِ إِجْرَاءَ جَلَسَاتِ عِلَاجٍ طَبِيعِيٍّ لَهُ كُلَّ أُسْـبُوعَيْنِ، ثُمَّ قَابَلَتِ الْإِخْصَائِيَّةُ الِاجْتِمَاعِيَّةُ وَالِدَتَـهُ، وَأَعَدَّتْ تَقْرِيرًا مُطَوَّلًا عَنْ «أَمِينٍ» وَأُسْرَتِهِ.

وَأَخِيرًا جَاءَ دَوْرُ الْعَمَّةِ «إِيمَانَ» بَعْدَ أُسْبُوعٍ، فَبَدَأَتْ بِمُقَابَلَةِ وَالِدَةِ «أَمِينٍ» بِمُفْرَدِهَا، فَخَرَجَ «أَمِينٌ» مَعَ «أَحْمَدَ» إِلَى حَدِيقَةِ الْجَمْعِيَّةِ، وَسُرْعَانَ مَا احْتَلَّ «مِيمُو» مَقْعَدًا عَلَى الْأُرْجُوحَـةِ، وَكُلَّمَا هَزَّهُ «أَحْمَدُ»، وَارْتَفَعَ إِلَى أَعْلَى تَعَالَتْ

صَيْحَاتُهُ وَضَحِكَاتُهُ، فَيَضْحَكُ كُلُّ الْأَطْفَالِ مِنْ حَوْلِهِ لِضَحِكَاتِهِ الْجَمِيلَةِ، ثُمَّ انْتَقَلَ مَعَ «أَحْمَدَ» إِلَى الْمَلْعَبِ، وَبَدَأَ يَقْذِفُ الْكُرَةَ إِلَى «أَحْمَدَ» بَعِيدًا بَعِيدًا، وَيَضْحَكُ كُلَّمَا جَرَى «أَحْمَدُ» لِاسْتِعَادَتِهَا.

مَرَّ الْوَقْتُ سَرِيعًا، وَلَمْ يَشْعُرْ «أَمِينٌ» خِلَالَهُ أَنَّ وَالِدَتَهُ لَيْسَتْ مَعَهُ. بَعْدَ ذَلِكَ خَرَجَتِ السَّيِّدَتَانِ مِنَ الْحُجْرَةِ. انْدَهَشَتْ وَالِدَةُ «أَمِينٍ» عِنْدَمَا شَاهَدَتْهُ يَجْرِي مُنْطَلِقًا فِي الْمَلْعَبِ، وَضَحِكَاتُهُ تَتَعَالَى فِي كُلِّ مَكَانٍ. فَابْتَدَرَتْهَا السَّيِّدَةُ «إِيمَانُ» قَائِلَةً:

ـ أَلَمْ أَقُلْ لَكِ إِنَّ ابْنَكِ سَيَسْعَدُ بَيْنَنَا؟!

ـ أَتَمَنَّى ذَلِكَ!

ثُمَّ جَاءَ الدَّوْرُ عَلَى «أَمِينٍ»! اسْتَغْرَقَ قِيَاسُ نِسْبَةِ ذَكَاءِ «أَمِينٍ» ثَلَاثَ جَلَسَاتٍ، عَلَى مَدَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مُتَتَالِيَةٍ. كَانَ «أَمِينٌ» يُبْدِي تَعَاوُنًا مَعَ السَّيِّدَةِ «إِيمَانَ» أَحْيَانًا، وَيُنَفِّذُ التَّعْلِيمَاتِ الْمَطْلُوبَةَ، وَأَحْيَانًا أُخْرَى يَرْفُضُ نِهَائِيًّا أَدَاءَ مَا يُطْلَبُ مِنْهُ، فَتَمْنَحُهُ السَّيِّدَةُ

«إِيمَـانُ» فَتْرَةَ رَاحَةٍ قَصِيـرَةً، يَنْطَلِقُ خِلَالَهَا مَعَ «أَحْمَـدَ»، الَّذِي أَصَرَّ عَلَى مُلَازَمَتِـهِ طَوَالَ مَرْحَلَةِ الْفَحْصِ، وَيَتَّجِهَانِ إِلَى الْحَدِيقَةِ، يَتَأَرْجَحُ أَوْ يَجْرِي، وَيَلْهُو مَعَ أَطْفَالِ الْجَمْعِيَّةِ، ثُمَّ يَعُودُ لِاسْـتِكْمَالِ مَا يُطْلَبُ مِنْهُ، عَلَى وَعْدٍ أَنْ يَعُودَ إِلَى الْحَدِيقَةِ، عِنْدَمَا يَنْتَهِي مِنْ أَدَاءِ الْمَطْلُوبِ مِنْهُ.

3

اسْـتَيْقَظَتِ السَّـيِّدَةُ «مُنَى» مِنْ نَوْمِهَا، وَانْتَهَتْ مِـنْ أَدَاءِ صَلَاةِ الصُّبْحِ، وَجَلَسَـتْ عَلَى الْمَقْعَدِ تَرْتَشِفُ كُوبًا مِنَ الشَّايِ، وَسَـرَحَتْ بِأَفْكَارِهَا بَعِيدًا. كَانَتْ تَشْـعُرُ بِقَلَقٍ بَالِغٍ؛ تُرَى هَلْ سَـيَكُونُ «أَمِينٌ» قَابِـلًا لِلتَّعَلُّمِ، أَمْ تَكُونُ إِعَاقَتُهُ شَدِيدَةً؟ وَكَانَتْ فِي أَثْنَاءِ اسْتِغْرَاقِهَا فِي مَخَاوِفِهَا؛ تَتَأَمَّلُ حَوْضَ السَّمَكِ الْمَوْضُـوعَ أَمَامَهَا، كَانَتِ الْأَسْـمَاكُ ذَاتُ الْأَلْوَانِ الْجَذَّابَـةِ تَتَحَرَّكُ فِي الْمِيَاهِ، كَأَنَّهَا تَرْقُصُ رَقْصَةً بَدِيعَةً، وَشَـاهَدَتْ مِيلَادَ سَمَكَةٍ صَغِيرَةٍ، فَأَحَسَّتْ كَأَنَّ فَقَاقِيـعَ الْمَاءِ بِالْحَوْضِ تَبْتَسِـمُ وَتُبَـارِكُ مَوْلِدَهَا، فَانْتَابَتْهَا مَشَـاعِرُ الْأَمَلِ وَالتَّفَاؤُلِ، وَأَحَسَّـتْ بِانْتِعَاشٍ غَرِيبٍ يَسْرِي فِي أَوْصَالِهَا، فَانْتَهَتْ مِنْ تَنَاوُلِ إِفْطَارِهَا، وَأَسْـرَعَتْ إِلَى جَمْعِيَّةِ «بَشَائِرُ الْخَيْرِ». لَقَدْ أَصَرَّ «أَحْمَدُ» وَ«هُدَى» عَلَى اصْطِحَابِهَا، لِيَطْمَئِنَّا بِنَفْسَيْهِمَا عَلَى مَصِيرِ «أَمِينٍ».

قَابَلَتْهُـمُ السَّـيِّدَةُ «إِيمَانُ» بِابْتِسَـامَتِهَا الْجَمِيلَةِ، ثُمَّ أَخْبَرَتْهُمْ أَنَّ نِسْـبَةَ ذَكَاءِ «أَمِيـنٍ» تَجْعَلُهُ فِي فِئَةِ الْأَطْفَالِ الْقَابِلِينَ لِلتَّعَلُّمِ، وَأَنَّ بِإِمْكَانِهِ الِالْتِحَاقَ بِإِحْدَى مَدَارِسِ ذَوِي الِاحْتِيَاجَاتِ الْخَاصَّةِ.

ـ الْحَمْدُ لِلَّهِ.

هَكَذَا تَنَفَّسَ «أَحْمَدُ» الصُّعَدَاءَ بَعْدَ أَنْ حَمِدَ اللَّهَ.

كَانَتْ وَالِدَةُ «أَمِينٍ» تَجْلِسُ صَامِتَةً، وَقَدِ ارْتَسَـمَتْ عَلَى مَلَامِحِهَا عَلَامَاتُ الْحُزْنِ وَالْقَلَقِ، فَنَظَرَتْ إِلَيْهَا السَّيِّدَةُ «إِيمَانُ» مُتَعَجِّبَةً، وَقَالَتْ لَهَا:

ـ أَرَاكِ غَيْرَ سَعِيدَةٍ بِسَمَاعِ الْخَبَرِ!

ـ أَنَا مُنْدَهِشَــةٌ فَقَطْ! كَيْفَ تَكُونُ إِعَاقَةُ ابْنِي بَسِيطَةً، وَهُوَ لَا يُتْقِنُ أَدَاءَ أَيِّ شَيْءٍ؟!

ـ بِبَسَاطَةٍ لِأَنَّهُ لَمْ يَتَدَرَّبْ عَلَى أَدَاءِ أَيِّ عَمَلٍ.

ـ وَهَلْ بِإِمْكَانِهِ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا؟! إِنَّهُ لَا يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ مُطْلَقًا.

ـ هَــذَا غَيْرُ صَحِيحٍ يَا «مُنَى»، وَاسْــمَحِي لِي بِأَنْ أُنَادِيَكِ بِاسْــمِكِ. ابْنُكِ لَمْ تُتَــحْ لَهُ الْفُرْصَةُ لِاكْتِسَــابِ أَيَّةِ مَهَارَةٍ رُبَّمَا لِخَوْفِكِ الشَّــدِيدِ عَلَيْهِ، وَرُبَّمَا لِاعْتِقَادِكِ أَنَّهُ لَنْ يَسْتَطِيعَ أَدَاءَهَا، وَلَكِنَّ النَّتِيجَةَ أَنَّهُ أَصْبَحَ قَاصِرًا فِي عَدِيدٍ مِنَ الْمَهَارَاتِ، الَّتِي لَيْسَــتْ لَهَا عَلَاقَةٌ مُبَاشِــرَةٌ بِإِعَاقَتِهِ؛ فَمَثَلًا «أَمِينٌ» لَا يَصْعَدُ السُّلَّمَ بِمُفْرَدِهِ، وَلَا يُمْكِنُهُ ارْتِدَاءُ مَلَابِسِهِ بِنَفْسِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَا يَخْرُجُ مِنَ الْمَنْزِلِ بِمُفْرَدِهِ إِطْلَاقًا، حَتَّى لَوْ كَانَ فِي حُدُودِ الْعِمَارَةِ الَّتِي تَقْطُنُونَ بِهَا! كُلُّ هَذِهِ الْمَهَارَاتِ حُرِمَ مِن اكْتِسَابِهَا.أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟!

ـ فِعْلًا أَنَا أَخَافُ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ شَــيْءٍ، وَمِنَ الْمَخَاطِرِ الَّتِي قَدْ يَتَعَرَّضُ لَهَا، وَلِهَذَا أَفْعَلُ لَهُ كُلَّ شَيْءٍ بِنَفْسِي.

ـ هَذَا خَطَأٌ كَبِيرٌ يَا «مُنَى».

ـ وَهَلْ بِإِمْكَانِي عِلَاجُ هَذَا الْخَطَإِ؟

ـ هُنَاكَ نَوْعَانِ مِنَ الْخَطَإِ تَسَــبَّبَا فِيمَا عَلَيْهِ «أَمِينٌ»؛ خَطَأٌ لَا يُمْكِنُ عِلَاجُهُ، وَهُــوَ الْخَطَأُ الَّذِي نَجَمَتْ عَنْهُ الْإِعَاقَةُ الذِّهْنِيَّةُ، وَخَطَأٌ يُمْكِنُ عِلَاجُهُ، وَهُوَ الْخَطَأُ الَّذِي نَجَمَ عَنْهُ قُصُورُهُ الِاجْتِمَاعِيُّ الشَّدِيدُ.

ـ وَكَيْفَ نُعَالِجُهُ؟

ـ بِالتَّدْرِيبِ وَالتَّأْهِيلِ.

نَظَرَتْ «هُدَى» إِلَى السَّيِّدَةِ «إِيمَانَ» بِانْدِهَاشٍ وَسَأَلَتْهَا:

ـ اسْمَحِي لي يَا عَمَّةُ، مَا الْخَطَأُ الَّذِي تَسَبَّبَ فِي إِحْدَاثِ الْإِعَاقَةِ الذِّهْنِيَّةِ لَدَى «أَمِينٍ»؟

ـ أَتَذْكُرِينَ يَا «هُدَى» حَدِيثَنَا السَّابِقَ عَنِ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَى الْإِعَاقَةِ الذِّهْنِيَّةِ؟

ـ نَعَمْ أَتَذَكَّرُ يَا عَمَّةُ. حَضْرَتُكِ قُلْتِ إِنَّهُ يُمْكِنُ تَصْنِيفُ أَسْبَابِ الْإِعَاقَةِ إِلَى فِئَاتٍ خَمْسٍ: أَسْبَابٌ وِرَاثِيَّةٌ، وَأَسْبَابٌ تَحْدُثُ قَبْلَ الْوِلَادَةِ، وَأَسْبَابٌ تَحْدُثُ فِي أَثْنَاءِ الْوِلَادَةِ، وَأَسْبَابٌ تَحْدُثُ بَعْدَ الْوِلَادَةِ، وَالْأَسْبَابُ الثَّقَافِيَّةُ وَالْبِيئِيَّةُ.

ـ بِالضَّبْطِ يَا «هُدَى» أَنْتِ تَتَمَتَّعِينَ بِذَاكِرَةٍ جَيِّدَةٍ.. مَا شَاءَ اللَّهُ.

ـ وَإِعَاقَةُ «أَمِينٍ» مُرْتَبِطَةٌ بِأَيٍّ مِنْ هَذِهِ الْأَسْبَابِ؟

ـ دَعُونِي أُوَضِّحْ لَكُمْ أَوَّلًا كَيْفَ تَحْدُثُ عَمَلِيَّةُ الْإِخْصَابِ.

ـ وَمَا هِيَ عَمَلِيَّةُ الْإِخْصَابِ؟

ـ عَمَلِيَّةُ الْإِخْصَابِ هِيَ الْعَمَلِيَّةُ الَّتِي يَنْتُجُ عَنْهَا تَكَوُّنُ الْجَنِينِ. أَنْتُمْ تَعْرِفُونَ أَنَّ الْجَنِينَ يَكُونُ فِي بِدَايَةِ تَكَوُّنِهِ أَشْبَهَ بِبِذْرَةٍ، هَذِهِ الْبِذْرَةُ تَكُونُ نِتَاجًا لِمَجْهُودِ اثْنَيْنِ هُمَا الْأَبُ وَالْأُمُّ.

ـ إِنِّي أَتَعَجَّبُ مِنْ ذَلِكَ! أَلَيْسَتِ الْأُمُّ هِيَ الَّتِي تَتَحَمَّلُ مَسْئُولِيَّةَ تَكَوُّنِ الْجَنِينِ كَامِلًا؟!

ـ لَا يَا «هُدَى» هَذَا خَطَأٌ. الْأُمُّ تَتَحَمَّلُ مَسْئُولِيَّتَهُ كَامِلَةً بَعْدَ أَنْ تَتَكَوَّنَ الْبِذْرَةُ هَذِهِ، وَتُوضَعَ دَاخِلَ رَحِمِهَا، لَكِنَّ تَكَوُّنَ الْبِذْرَةِ مِنَ الْأَسَاسِ كَمَا قُلْتُ يَكُونُ نِتَاجًا لِإِسْهَامِ كُلٍّ مِنَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ.

ـ وَكَيْفَ يَكُونُ إِسْهَامُ كُلٍّ مِنْهُمَا؟

- تُسْـهِمُ الْأُمُّ مِنْ خِلَالِ إِفْرَازِ الْبُوَيْضَةِ، وَالْأَبُ مِنْ خِلَالِ إِفْرَازِ مَادَّةٍ يُطْلَقُ عَلَيْهَـا «الْحَيَوَانُ الْمَنَـوِيُّ». إِذَنْ يَحْدُثُ فِي أَثْنَاءِ عَمَلِيَّـةِ الْإِخْصَابِ الْتِقَاءُ الْحَيَوَانِ الْمَنَوِيِّ بِالْبُوَيْضَةِ، وَيَنْتُجُ عَنْ هَذَا تَكَوُّنُ الْجَنِينِ.
- إِذَنِ الْجَنِينُ يَكُونُ نِتَاجًا مُشْتَرَكًا مِنْ أَبِي وَأُمِّي.
- نَعَمْ يَا «أَحْمَدُ».
- وَلِهَذَا فَهُوَ يَحْمِلُ بَعْضَ صِفَاتِ الْأُمِّ، وَبَعْضَ صِفَاتِ الْأَبِ.
- أَحْسَنْتِ يَا «هُدَى». لَقَدِ اقْتَرَبْتِ مِنَ الْفِكْرَةِ الَّتِي أَوَدُّ تَقْرِيبَهَا إِلَى أَذْهَانِكُمْ. هَـذِهِ الصِّفَاتُ الْمَوْرُوثَةُ نُطْلِقُ عَلَيْهَا « الْكُرُومُوزُومَاتُ». وَمِنَ الْمَعْرُوفِ أَنَّ كُلَّ الْخَلَايَا فِي جِسْـمِ أَيِّ إِنْسَانٍ بِهَا سِتَّةٌ وَأَرْبَعُونَ (46) كُرُومُوزُومًا. وَهَـذِهِ الْكُرُومُوزُومَـاتُ تُوجَدُ فِي صُـورَةِ أَزْوَاجٍ. وَيُعْطِـي الْبَاحِثُونَ لَهَا أَرْقَامًا مُسَلْسَـلَةً مِنْ 23:1. كُلُّ زَوْجٍ مِنْهَـا مُخْتَلِفٌ عَنِ الْآخَرِ فِي تَكْوِينِهِ الْوِرَاثِيِّ، وَأَحْيَانًا يَكُونُ مُخْتَلِفًا فِي مَظْهَرِهِ عَنِ الْأَزْوَاجِ الْأُخْرَى.
- إِذَنْ فَنَحْنُ لَدَيْنَا ثَلَاثَةٌ وَعِشْرُونَ زَوْجًا (23 × 2 = 46).
- تَمَامًا يَا «أَحْمَدُ». وَحَالَةُ «أَمِينٍ» نَتَجَتْ عَنْ خَطَإٍ حَدَثَ فِي انْقِسَامِ الْخَلِيَّةِ فِي أَثْنَاءِ عَمَلِيَّةِ الْإِخْصَابِ، وَذَلِكَ بِالنِّسْبَةِ لِلْكُرُومُوزُومِ رَقْمِ وَاحِدٍ وَعِشْرِينَ (21)، فَبَدَلًا مِنْ أَنْ يَنْقَسِمَ إِلَى زَوْجَيْنِ مِنَ الْكُرُومُوزُومَاتِ كَمَا هُوَ مُعْتَادٌ؛ انْقَسَـمَ إِلَى ثَلَاثَةِ كُرُومُوزُومَـاتٍ، وَتُعْتَبَرُ هَذِهِ الْحَالَةُ الَّتِـي نُطْلِقُ عَلَيْهَا «زُمْلَـةُ دَاوِنْ أو Down Syndrome مِـنْ أَكْثَرِ فِئَـاتِ الْإِعَاقَةِ الْمَوْرُوثَةِ شُيُوعًا.
- مَاذَا تَعْنِي كَلِمَةُ « زُمْلَة»؟
- مَجْمُوعَةُ الْأَعْرَاضِ الْمَرَضِيَّةِ الْمُمَيِّزَةِ لِهَذَا النَّوْعِ مِنَ الْإِعَاقَاتِ.

ـ وَلِمَاذَا تُسَمَّى «زُمْلَةَ دَاوِنْ»؟

ـ نِسْبَةً إِلَى الطَّبِيبِ الْإِنْجِلِيزِيِّ « جُونْ دَاوِنْ» الَّذِي اكْتَشَفَ هَذَا النَّوْعَ مِنَ الْإِعَاقَةِ، وَأَلْقَى مُحَاضَرَةً طِبِّيَّةً عَنْهَا لِأَوَّلِ مَرَّةٍ عَامَ 1866م.

ـ حَضْرَتُكِ قُلْتِ إِنَّهُ نَوْعٌ مِنَ الْإِعَاقَةِ الْمَوْرُوثَةِ؟!

ـ نَعَمْ تَلْعَبُ الْوِرَاثَةُ فِيهِ دَوْرًا مُهِمًّا، وَتَزْدَادُ نِسَبُ انْتِشَارِهِ بَيْنَ الْأُمَّهَاتِ الْكُبْرَيَاتِ سِنًّا.

ـ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّنَا يُمْكِنُ تَقْلِيلُ مُعَدَّلِ حُدُوثِهِ، أَوْ تَقْلِيلُ نِسَبِ انْتِشَارِهِ لَوْ حَرَصْنَا عَلَى الْفَحْصِ الطِّبِّيِّ لِلْمُقْبِلِينَ عَلَى الزَّوَاجِ، خَاصَّةً فِي حَالَةِ زَوَاجِ الْأَقَارِبِ؟

ـ كَلَامُكَ صَحِيحٌ إِلَى حَدٍّ كَبِيرٍ يَا «أَحْمَدُ».

كَانَتِ السَّيِّدَةُ «مُنَى» تَسْتَمِعُ إِلَى أَسْئِلَةِ «أَحْمَدَ» وَ«هُدَى» وَهِيَ حَزِينَةٌ، وَوَاجِمَةٌ، فَنَظَرَتْ إِلَيْهَا السَّيِّدَةُ «إِيمَانُ»، وَقَالَتْ:

ـ آسِفَةٌ يَا «مُنَى».. يَبْدُو أَنَّنَا بِكَلَامِنَا هَذَا قَدْ أَثَرْنَا أَحْزَانَكِ.

ـ لَا تَقْلَقِي عَلَيَّ، فَأَنَا وَأَحْزَانِي صَدِيقَانِ مُنْذُ مِيلَادِ «أَمِينٍ». وَهَذَا الْكَلَامُ لَيْسَ جَدِيدًا عَلَيَّ، لَقَدْ سَمِعْتُهُ مِنْ عَدِيدٍ مِنَ الْأَطِبَّاءِ مِنْ قَبْلُ، وَشَعَرْتُ بِحُزْنٍ شَدِيدٍ؛ لِأَنَّنَا ـ أَنَا وَزَوْجِي ـ أَسْهَمْنَا فِيمَا فِيهِ ابْنِي.

ـ التَّفْكِيرُ بِهَذَا الشَّكْلِ لَنْ يَكُونَ مُجْدِيًا، فَلَا تُفَكِّرِي فِي الْمَاضِي، وَنَحْنُ نُخَطِّطُ الْآنَ لِلْمُسْتَقْبَلِ.

ـ عِنْدَكِ حَقٌّ.

ـ سَيَنْتَظِمُ «أَمِينٌ» عِنْدَنَا خِلَالَ الْأُسْبُوعِ الْقَادِمِ، وَسَأَتَّصِلُ الْيَوْمَ بِإِخْصَائِيَّةِ التَّخَاطُبِ، لِتَنْظِيمِ دَوْرَاتٍ تَدْرِيبِيَّةٍ لِـ «أَمِينٍ» فِي أَثْنَاءِ الْفَتْرَةِ الْقَادِمَةِ.

ـ إِخْصَائِيَّةُ تَخَاطُبٍ؟!

ـ نَعَمْ يَا «هُدَى»، وَهِيَ السَّـيِّدَةُ الْمُتَخَصِّصَةُ الَّتِي سَتَتَوَلَّى تَدْرِيبَ «أَمِينٍ»؛ عَلَى نُطْقِ الْحُرُوفِ نُطْقًا صَحِيحًا، وَسَيَتَحَسَّنُ تَدْرِيجِيًّا بِإِذْنِ اللَّهِ.

ـ أَشْـعُرُ أَنَّ الْمَسْأَلَةَ صَعْبَةٌ جِدًّا، وَسَتَسْتَغْرِقُ وَقْتًا طَوِيلًا، كَمَا أَنَّنِي أَشْعُرُ بِأَنَّ التَّحَسُّنَ سَيَكُونُ مَحْدُودًا.

ـ هِيَ صَعْبَةٌ يَا «مُنَى»، لَكِنَّهَا لَيْسَتْ مُسْتَحِيلَةً، وَسَتَسْتَغْرِقُ وَقْتًا طَوِيلًا، لَكِنَّ التَّحَسُّـنَ النَّاتِجَ سَيَكُونُ مَلْحُوظًا، وَسَيُسَاعِدُهُ عَلَى التَّوَافُقِ الْجَيِّدِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ.

ـ وَمَاذَا بَعْدَ ذَلِكَ؟

ـ يَعِيشُ ابْنُكِ بِشَكْلٍ طَبِيعِيٍّ؛ يَتَعَلَّمُ، وَيَتَدَرَّبُ عَلَى حِرْفَةٍ، وَيَعْمَلُ، وَيَتَكَسَّبُ.

ـ يَعْمَلُ!!

ـ نَعَمْ يَعْمَلُ.

ـ مَاذَا يَعْمَلُ؟! وَهَلْ بِإِمْكَانِ مَنْ كَانَ فِي مِثْلِ حَالَتِهِ أَنْ يَعْمَلَ؟!

ـ هَذَا الِاعْتِقَادُ الْخَاطِئُ هُوَ جَوْهَرُ مُشْكِلَةِ «أَمِينٍ»، وَهَذَا مَا سَأُحَاوِلُ جَاهِدَةً تَغْيِيرَهُ لَدَيْكِ فِي الْمُسْـتَقْبَلِ.. نَعَمْ يَا «مُنَـى» بِإِمْكَانِهِ أَنْ يَعْمَلَ وَيُمَارِسَ كَثِيرًا مِنَ الْأَعْمَالِ الْبَسِيطَةِ، وَبِإِمْكَانِهِ أَنْ يُتْقِنَهَا.

ـ وَلَكِنَّهَا فِي النِّهَايَةِ أَعْمَالٌ بَسِيطَةٌ.

ـ لَكِنْ رَغْمَ بَسَاطَتِهَا مُهِمَّةٌ لِلْغَايَةِ، وَلَوْ لَمْ نَجِدْ مَنْ يُتْقِنُهَا لَتَوَقَّفَتْ حَيَاتُنَا، وَارْتَبَكَتْ، وَأَصَابَتْهَا الْفَوْضَى. فَلَا تُهَوِّنِي مِنْ شَأْنِ ابْنِكِ بِهَذَا الشَّكْلِ.

ـ أَتَمَنَّى أَنْ يَنْجَحَ، وَيَتَكَسَّبَ، وَيَعِيشَ حَيَاتَهُ بِشَكْلٍ طَبِيعِيٍّ.

ـ الْأَمْرُ مَرْهُونٌ بِكِ أَنْتِ وَحْدَكِ يَا «مُنَى»؛ فَالطَّرِيقَةُ الَّتِي تَتَكَلَّمِينَ بِهَا، وَهِيَ

انْعِـكَاسٌ لِلطَّرِيقَةِ الَّتِي تُفَكِّرِينَ بِهَا، سَـتُحَدِّدُ الطَّرِيقَةَ الَّتِي تَتَصَرَّفِينَ بِهَا.

- أَرْشِدِينِي، وَحَدِّدِي لِي مَا يَنْبَغِي عَلَيَّ فِعْلُهُ، وَأَعِدُكِ أَنَّنِي سَأُحَاوِلُ، وَأَبْذُلُ قُصَارَى جُهْدِي.
- مَبْدَئِيًّا سَيَتَوَلَّى الْمُخْتَصُّونَ بِالْجَمْعِيَّةِ تَدْرِيبَهُ، وَإِكْسَابَهُ بَعْضَ الْمَهَارَاتِ، وَسَـيَكُونُ مَطْلُوبًـا مِنْكَ الْمُوَاظَبَةُ عَـلَى إِحْضَارِهِ فِي الْمَوَاعِيـدِ الْمُحَدَّدَةِ، وَتَنْفِيذِ مَا يُطْلَبُ مِنْكَ.
- وَنَحْنُ يَا عَمَّةُ «مُنَى» سَـنَبْذُلُ كُلَّ مَا بِوُسْعِنَا لِمُسَاعَدَتِكِ عَلَى أَدَاءِ مُهِمَّتِكِ بِنَجَاحٍ.
- أَشْكُرُكَ يَا «أَحْمَدُ».
- إِذَنِ اتَّفَقْنَا.

انْصَرَفَتِ السَّـيِّدَةُ «مُنَى» مِنَ الْجَمْعِيَّةِ، وَقَدْ تَوَلَّدَ لَدَيْهَا إِحْسَاسٌ صَادِقٌ أَنَّهَا تَسِـيرُ الْآنَ فِي الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ، فَهَذِهِ هِـيَ الْبِدَايَةُ الَّتِي كَانَ يَجِبُ أَنْ تَبْدَأَ بِهَا قِصَّتُهَا مَعَ «أَمِينٍ». نَظَرَتْ إِلَى السَّـمَاءِ وَنَاجَتْ رَبَّهَا: «سَـاعِدْنِي يَا رَبِّ عَلَى أَنْ أَجْعَلَ مِن ابْنِي هَذَا رَجُلًا طَبِيعِيًّا.. سَاعِدْنِي يَا رَبِّ».

انْسَـابَتْ دَمْعَةٌ حَبِيسَـةٌ مِـنْ عَيْنَيْهَا، وَدَوَّى صَـوْتُ الْكَـرَوَانِ الْجَمِيلُ، فَتَبَسَّمَتْ، وَقَبَّلَتْ رَأْسَ «أَمِينٍ» الَّذِي يُغَنِّي عَلَى طَرِيقَتِهِ الْخَاصَّةِ.

تُـرَى هَـلْ سَـيَنْجَحُ «أَمِيـنٌ» فِي التَّعَلُّـمِ؟ وَهَلْ سَـيَتَجَاوَبُ «أَمِيـنٌ» مَعَ الْمُخْتَصِّينَ بِالْجَمْعِيَّةِ؟

الْفَصْلُ السَّادِسُ

كُنْ صَدِيقِي

1

انْطَلَقَتْ صَفَّارَةُ «مُرَادٍ»، فَأَسْرَعَ «أَحْمَدُ» وَ«هُدَى» إِلَى الشُّرْفَةِ. كَانَ «مُرَادٌ» يَبْدُو قَلِقًا، فَابْتَدَرَهُ «أَحْمَدُ» مُتَسَائِلًا:

ـ أَهْلًا يَا «مُرَادُ». لِمَاذَا جِئْتَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ الْمُبَكِّرَةِ؟

ـ لَقَدْ عَايَشْتُ تَجْرِبَةً غَرِيبَةً جِدًّا أَمْسِ، وَجِئْتُ لِأُحَدِّثَكُمْ عَنْهَا.

ـ خَيْرًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

ـ كُنْتُ أُفَكِّرُ أَمْسِ فِي «أَمِينٍ»، وَأَحْسَسْتُ أَنَّنِي أُحِبُّهُ جِدًّا، وَكُنْتُ أَسْتَرْجِعُ كُلَّ مَا مَرَّ بِنَا مِنْ أَحْدَاثٍ دَاخِلَ جَمْعِيَّةِ «بَشَائِرُ الْخَيْرِ»، وَفَجْأَةً أَحْسَسْتُ أَنَّ بِدَاخِلِي فَيْضًا جَارِفًا مِنَ الْمَشَاعِرِ، تَوَدُّ أَنْ تَنْطَلِقَ، وَتَجِدَ طَرِيقَهَا إِلَى الْوَرَقِ، فَأَحْضَرْتُ قَلَمِي، وَبَدَأْتُ أَكْتُبُ كُلَّ مَا أُحِسُّ بِهِ، فَوَجَدْتُنِي قَدْ صُغْتُ قَصِيدَةَ شِعْرٍ بِعُنْوَانِ « كُنْ صَدِيقِي». هَذِهِ الْقَصِيدَةُ تُتَرْجِمُ كُلَّ مَشَاعِرِي تِجَاهَ إِخْوَانِي الْمُخْتَلِفِينَ عَقْلِيًّا.

ـ مَا أَجْمَلَ هَذَا يَا «مُرَادُ»!

ـ أَشْكُرُكِ يَا «هُدَى».. تَصَوَّرْتُ أَنَّكُمْ قَدْ تَسْخَرُونَ مِنِّي!
ـ أَنَسِيتَ مَا اتَّفَقْنَا عَلَيْهِ مُنْذُ عَرَفْنَا «ميمو»؟! إِنَّنَا لَمْ نَعُدْ نَسْخَرُ مِنْ أَحَدٍ.
ـ أَسْمِعْنَا قَصِيدَتَكَ أَيُّهَا الشَّاعِرُ الصَّغِيرُ.

وَبَدَأَ «مُرَادٌ» يُلْقِي الْقَصِيدَةَ فِي تَأَثُّرٍ بَالِغٍ، وَالْجَمِيعُ يُنْصِتُ بِإِمْعَانٍ شَدِيدٍ، وَمَا إِنِ انْتَهَى مِنْ إِلْقَائِهَا، حَتَّى صَفَّقَ لَهُ الْجَمِيعُ.

ـ عِنْدِي فِكْرَةٌ.
ـ قُولِي يَا «مَيُّ» فِكْرَتَكِ.
ـ أَتَذْكُرُونَ الْحَفْلَةَ السَّنَوِيَّةَ الَّتِي حَدَّثَتْنَا عَنْهَا الْعَمَّةُ «إِيمَانُ»؟
ـ نَعَمْ.. لَقَدْ أَخْبَرَتْنَا أَنَّنَا مَدْعُوُّونَ فِي تِلْكَ الْحَفْلَةِ.
ـ مَا رَأْيُكُمْ إِذَنْ لَوْ شَارَكْنَا فِي هَذِهِ الْحَفْلَةِ.
ـ وَبِمَاذَا نُشَارِكُ؟
ـ نُشَارِكُ بِهَذِهِ الْقَصِيدَةِ.
ـ أَتُوَافِقُونَ مَبْدَئِيًّا عَلَى الْفِكْرَةِ؟
ـ بِالطَّبْعِ نَحْنُ مُوَافِقُونَ.
ـ إِذَنِ اتْرُكُوا الْأَمْرَ لِي.. سَنَذْهَبُ إِلَى الْعَمَّةِ «مُنَى»، وَنُسْمِعُهَا إِيَّاهَا، وَهِيَ سَتَتَوَلَّى إِنْجَازَ الْخُطْوَةِ الْأُولَى.

2

جَلَسَ «أَمِينٌ» سَعِيدًا، وَهُوَ يَتَأَمَّلُ أَصْدِقَاءَهُ وَهُمْ يَجْلِسُونَ بِجَانِبِهِ، وَبَدَأَتْ «مَيُّ» الْحَدِيثَ.

ـ عِنْدَنَا مُفَاجَأَةٌ يَا عَمَّةُ سَتُسْعِدُكِ جِدًّا.

ـ مَا هِيَ يَا «مَيُّ»؟

ـ انْتَهَى «مُرَادٌ» مِنْ كِتَابَةِ قَصِيدَةٍ جَمِيلَةٍ، أَتَصَوَّرُ أَنَّكِ سَتَسْعَدِينَ عِنْدَ سَمَاعِهَا.

فَتَهَلَّلَتْ أَسَارِيرُهَا وَقَالَتْ:

ـ هَذَا خَبَرٌ سَعِيدٌ حِقًّا.

ـ وَسَتَسْعَدِينَ أَكْثَرَ لَوْ عَلِمْتِ أَنَّهُ كَتَبَهَا خِصِّيصًا مِنْ أَجْلِ «مِيمُو».

ـ حَقًّا. مَا أَجْمَلَ هَذَا! أَسْمِعْنِي يَا «مُرَادُ».

وَبَدَأَ «مُرَادٌ» يُلْقِي قَصِيدَتَهُ لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ، كَانَتِ الْعَمَّةُ «مُنَى» تَنْظُرُ إِلَيْهِ بِاهْتِمَامٍ بَالِغٍ، وَبَدَأَتْ دُمُوعُهَا تَنْسَابُ، وَبَعْدَ أَنِ انْتَهَى «مُرَادٌ» مِنْ إِلْقَائِهَا، قَالَتْ «هُدَى»:

ـ «مَيُّ» اقْتَرَحَتْ عَلَيْنَا أَنْ نُشَارِكَ بِهَذِهِ الْقَصِيدَةِ فِي الِاحْتِفَالِ السَّنَوِيِّ لِجَمْعِيَّةِ «بَشَائِرُ الْخَيْرِ».

ـ هَذِهِ فِكْرَةٌ رَائِعَةٌ.

ـ لَكِنَّنِي أَحْلُمُ بِمَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ.

ـ بِمَاذَا تَحْلُمِينَ يَا «مَيُّ»؟

ـ أَنْ نُشَارِكَ بِهَا بَعْدَ تَحْوِيلِهَا إِلَى أُغْنِيَةٍ، وَنَقُومَ نَحْنُ بِغِنَائِهَا.

ـ أُغْنِيَةٌ؟! لَمْ يَخْطُرْ هَذَا فِي بَالِي مِنْ قَبْلُ.

ـ سَيَكُونُ هَذَا رَائِعًا.. لَكِنْ مَنْ سَيَتَوَلَّى تَلْحِينَهَا؟

نَظَرَتْ إِلَيْهِمُ السَّيِّدَةُ «مُنَى»، وَبَدا عَلَى مَلَامِحِهَا الِارْتِبَاكُ وَالتَّوَتُّرُ، ثُمَّ قَالَتْ فِي تَرَدُّدٍ:

ـ اتْرُكُوا الْأَمْرَ لِي.

جَلَسَ الْأَصْدِقَاءُ يُفَكِّرُونَ فِي الْقَصِيدَةِ، الَّتِي قَدْ تَتَحَوَّلُ إِلَى أُغْنِيَةٍ، وَ«مُرَادٌ» لَا يُصَدِّقُ نَفْسَهُ.

«أَيُمْكِنُ حَقًّا أَنْ أُؤَلِّفَ كَلِمَاتٍ تُغَنَّى وَتُذَاعُ كَلِمَاتُهَا، وَيُغَنِّيهَا الْجَمِيعُ. يَاهْ سَيَكُونُ هَذَا دَرْبًا مِنَ الْمُسْتَحِيلِ!».

وَأَفَاقَ الْجَمِيعُ مِنْ أَفْكَارِهِمْ عَلَى يَدِ «أَمِينٍ» تَحُثُّهُمْ عَلَى النُّزُولِ إِلَى الْحَدِيقَةِ، فَرَبَّتَ «أَحْمَدُ» عَلَى كَتِفِهِ، وَقَالَ له:

ـ انْتَظِرْ قَلِيلًا يَا «مِيمُو»، سَنَخْرُجُ بَعْدَ قَلِيلٍ.

ثُمَّ نَظَرَ إِلَى الْعَمَّةِ «مُنَى» مُوَجِّهًا لَهَا الْحَدِيثَ:

ـ مَا الْأَخْبَارُ يَا عَمَّةُ؟

ـ الْحَمْدُ لِلَّهِ «أَمِينٌ» يَحْضُرُ بِانْتِظَامٍ جَلَسَاتِ التَّخَاطُبِ، وَأَشْعُرُ بِأَنَّهُ يَتَحَسَّنُ.

ـ وَنَحْنُ بِالْفِعْلِ نُلَاحِظُ ذَلِكَ، لَقَدْ زَادَ عَدَدُ الْكَلِمَاتِ الَّتِي أَصْبَحَ بِإِمْكَانِ «أَمِينٍ» أَنْ يَنْطِقَهَا.

ـ كَمَا أَنَّ بِإِمْكَانِهِ الْآنَ نُطْقَ عَدَدٍ مِنَ الْحُرُوفِ، لَمْ يَكُنْ يَسْتَطِيعُ نُطْقَهَا مِنْ قَبْلُ.

ـ كَمَا أَنَّنَا نَنْتَظِمُ فِي الذَّهَابِ إِلَى الْجَمْعِيَّةِ، وَبِالْفِعْلِ «أَمِينٌ» يَتَعَلَّمُ كُلَّ يَوْمٍ شَيْئًا جَدِيدًا. أَنَا سَعِيدَةٌ جِدًّا أَنَّهُ أَصْبَحَ أَكْثَرَ اعْتِمَادًا عَلَى نَفْسِهِ عَنْ ذِي قَبْلُ، فَبِإِمْكَانِي الْآنَ أَنْ أَتْرُكَهُ فِي الْحَمَّامِ بِمُفْرَدِهِ، كَمَا أَنَّهُ يَتَنَاوَلُ الطَّعَامَ بِنَفْسِهِ الْآنَ، دُونَ أَنْ يُسَبِّبَ خَسَائِرَ كَبِيرَةً، وَقَدْ طَلَبَتِ السَّيِّدَةُ «إِيمَانُ» أَنْ أَتْرُكَهُ بِمُفْرَدِهِ، وَأَنْ أَسْمَحَ لَهُ بِالنُّزُولِ مِنَ الْمَنْزِلِ بِمُفْرَدِهِ فِي

إِطَارِ الْحَدِيقَةِ، وَالشَّـارِعِ الْمُحِيطِ بِنَا. وَبِالْفِعْلِ تَشَجَّعْتُ أَمْسِ، وَعَهِدْتُ إِلَيْهِ بِشِـرَاءِ حَلْوَى مِنَ السُّـوبَرْ مَارْكِتْ الْمُقَابِلِ لِلْعِمَـارَةِ، وَكُنْتُ أُتَابِعُهُ مِنَ النَّافِذَةِ، وَكَمْ أَسْـعَدَهُ ذَلِكَ، وَأَشْـعَرَهُ بِثِقَةٍ كَبِيرَةٍ فِي نَفْسِـهِ، كَمَا نَزَلَ أَمْسِ، وَأَحْضَرَ لِي الْخَضْرَاوَاتِ الَّتِي اشْتَرَاهَا الْبَوَّابُ لِي مِنَ السُّوقِ، وَكَانَ حَرِيصًا جِدًّا وَهُوَ يَحْمِلُ حَقِيبَةَ الْخَضْرَاوَاتِ، حَتَّى لَا تَقَعَ مِنْهُ.

ـ هَذَا رَائِعٌ. أَحْسَنْتَ يَا «أَمِينُ».

كَانَ «أَمِينٌ» يَسْتَمِعُ إِلَى حَدِيثِ وَالِدَتِهِ وَهُوَ سَعِيدٌ، وَيُشِيرُ إِلَى نَفْسِهِ وَيُرَدِّدُ أَنَا. أَنَا أَيْ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ، فَاحْتَضَنَتْهُ «هُدَى» وَقَبَّلَتْهُ، وَاسْتَكْمَلَتْ وَالِدَتُهُ:

ـ وَالْيَوْمَ سَأَسْـمَحُ لَهُ بِرُكُوبِ دَرَّاجَتِهِ فِي الْحَدِيقَةِ، وَسَـأُتَابِعُهُ مِنَ النَّافِذَةِ، وَأَخْبَرْتُ الْبَوَّابَ أَنْ يُتَابِعَهُ هُوَ الْآخَرُ مِنْ بَعِيدٍ.

ـ هَذِهِ أَخْبَارٌ سَارَّةٌ.

ـ أَنَا الْآنَ أَشْعُرُ أَنَّ لَدَيَّ مُتَّسَعًا مِنَ الْوَقْتِ لِفِعْلِ أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ، كُنْتُ تَوَقَّفْتُ عَنْ مُمَارَسَتِهَا، نَتِيجَةً لِاعْتِمَادِ «أَمِينٍ» الْكَامِلِ عَلَيَّ.

ـ بِالْفِعْلِ يَا عَمَّةُ سَيُتَاحُ لَكِ وَقْتٌ أَطْوَلُ لِلرَّاحَةِ وَلِعَمَلِ أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ.

ـ وَلِهَذَا يَا أَوْلَادِي الْأَعِزَّاءَ أُفَكِّرُ فِي الْعَوْدَةِ مَرَّةً أُخْرَى لِمُزَاوَلَةِ عَمَلِي، وَلَكِنَّنِي مَا زِلْتُ مُتَرَدِّدَةً.

ـ وَلِـمَ التَّرَدُّدُ يَا عَمَّةُ؟! هَذَا قَرَارٌ صَائِبٌ. لَقَـدِ اطْمَأْنَنْتِ عَلَى «مِيمُو»، وَآنَ الْوَقْتُ لِتَعُودِي إِلَى مُمَارَسَةِ حَيَاتِكِ الطَّبِيعِيَّةِ.

ـ أَخْشَى أَنْ يُؤَثِّرَ هَذَا عَلَى «مِيمُو».

ـ لَا تَقْلَقِـي عَلَى «مِيمُو» الْآنَ؛ فَالْجَمْعِيَّـةُ تَتَوَلَّى تَدْرِيبَهُ، وَحَضْرَتُكِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مُتَعَاوِنَةٌ، وَتَبْذُلِينَ أَقْصَى جُهْدِكِ.

ـ لَقَدْ تَحَدَّثْتُ مَعَ وَالِدَتِكُمَا أَمْسِ يَا «أَحْمَدُ» فَشَـجَّعَتْنِي، كَمَا أَنَّنِي اتَّصَلْتُ بِزَوْجِي أَمْسِ فِي السُّعُودِيَّةِ حَيْثُ يَعْمَلُ، فَأَيَّدَ قَرَارِي.

ـ إِذَنْ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ.

ـ رُجُوعِـي إِلَى عَمَلِي سَـيَكُونُ مَرْهُونًا بِتَحَقُّقِ مُعْجِزَةٍ مُعَيَّنَـةٍ، إِذَا تَحَقَّقَتْ فَسَتَعُودُ لِي ثِقَتِي بِنَفْسِي وَأَعُودُ دُونَ تَرَدُّدٍ.

ـ هَلِ الْمُعْجِزَةُ هِيَ تَحَسُّنُ حَالَةِ «مِيمُو»؟

ـ «مِيمُو» وَالْحَمْدُ لِلَّهِ يَتَحَسَّنُ بِالْفِعْلِ، الْمُعْجِزَةُ مُرْتَبِطَةٌ بِي أَنَا.

ـ وَمَا هِيَ هَذِهِ الْمُعْجِزَةُ الَّتِي تَحْلُمِينَ حَضْرَتُكِ بِتَحَقُّقِهَا؟

ـ لَنْ أُخْبِرَ أَحَدًا بِهَا إِلَّا إِذَا تَحَقَّقَتْ.

ـ سَنَدْعُو اللَّهَ أَنْ يُسَاعِدَ حَضْرَتَكِ عَلَى تَحَقُّقِهَا.

ـ يَا رَبِّ يَا «مَرْوَةُ»!

انْصَرَفَ الْأَصْدِقَـاءُ وَهُمْ يُفَكِّرُونَ فِي الْمُعْجِزَةِ، الَّتِي تَتَمَنَّى الْعَمَّةُ «مُنَى» تَحَقُّقَهَا، حَتَّى تَعُودَ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى عَمَلِهَا!

3

اسْتَيْقَظَ «أَحْمَدُ» عَلَى صَوْتِ وَالِدَتِهِ تَهُزُّهُ بِرِفْقٍ، وَتُخْبِرُهُ بِأَنَّ الْعَمَّةَ «مُنَى» تُرِيدُ التَّحَدُّثَ مَعَهُ عَلَى الْهَاتِفِ، فَنَهَضَ «أَحْمَدُ» مِنَ السَّرِيرِ، وَأَمْسَكَ سَمَّاعَةَ الْهَاتِفِ، فَسَمِعَ صَوْتَ الْعَمَّةِ «مُنَى»:

ـ صَبَاحُ الْخَيْرِ يَا «أَحْمَدُ».

ـ صَبَاحُ النُّورِ يَا عَمَّةُ.

ـ أُرِيدُ مُقَابَلَتَكُمُ الْيَوْمَ.. هَلْ أَنْتُمْ مُرْتَبِطُونَ بِأَيِّ مِيعَادٍ؟

ـ لَا.. لَيْسَ لَدَيْنَا أَيَّةُ ارْتِبَاطَاتٍ الْيَوْمَ.

ـ مَا الْمِيعَادُ الَّذِي يُنَاسِبُكُمْ؟

ـ السَّادِسَةُ مَسَاءً.. أَيُنَاسِبُ حَضْرَتَكِ هَذَا الْمَوْعِدَ؟

ـ نَعَمْ يُنَاسِبُنِي.. سَأَكُونُ فِي انْتِظَارِكُمْ.

ـ أَهُنَاكَ جَدِيدٌ يَا عَمَّةُ؟

ـ نَعَمْ يَا «أَحْمَدُ» يَبْدُو أَنَّ دَعْوَتَكُمْ لِي طَوَالَ الْيَوْمَيْنِ السَّابِقَيْنِ كَانَتْ صَادِقَةً!

ـ أَتَحَقَّقَتِ الْمُعْجِزَةُ؟

ـ نَعَمْ يَا «أَحْمَدُ»، وَسَتَرَوْنَ بِأَنْفُسِكُمْ!

كَانَ الْجَمِيعُ يُرَاقِبُ عَقَارِبَ السَّاعَةِ، وَهِيَ تَتَقَدَّمُ بِبُطْءٍ، وَلَا يَشْغَلُ بَالَهُمْ سِوَى مَعْرِفَةِ مَا هِيَ هَذِهِ الْمُعْجِزَةُ الَّتِي تَحَقَّقَتْ!

وَفِي تَمَامِ السَّادِسَةِ تَجَمَّعَ الْأَصْدِقَاءُ الْخَمْسَةُ عَلَى بَابِ شَقَّةِ «أَمِين»، طَرَقَ «أَحْمَدُ» عَلَى الْبَابِ، وَفَتَحَتْ لَهُمُ الْعَمَّةُ «مُنَى» الْبَابَ. كَانَتْ تَبْدُو رَائِعَةً هَذَا الْيَوْمَ. الِابْتِسَامَةُ تَرْتَسِمُ عَلَى مَلَامِحِ وَجْهِهَا، وَبَدَتْ أَكْثَرَ بَهَاءً وَنَقَاءً فِي ثَوْبِهَا الْحَرِيرِيِّ الْأَزْرَقِ، الَّذِي يَبْدُو فِي زُرْقَتِهِ كَالسَّمَاءِ الصَّافِيَةِ، وَبَدَأَ «مُرَادٌ» الْحَدِيثَ:

ـ مُبَارَكٌ يَا عَمَّةُ عَلَى تَحَقُّقِ الْمُعْجِزَةِ!

ـ أَشْكُرُكَ يَا «مُرَادُ»؛ فَأَنْتَ كُنْتَ صَاحِبَ فَضْلٍ حَقِيقِيٍّ عَلَيَّ.

فَتَعَجَّبَ «مُرَادٌ» مِنْ قَوْلِهَا، فَاسْتَكْمَلَتْ كَلَامَهَا:

ـ قُلْتُ لَكُمْ إِنَّنِي كُنْتُ أَعْمَلُ مُدَرِّسَةَ تَرْبِيَةٍ مُوسِيقِيَّةٍ، وَكُنْتُ مُتَمَيِّزَةً جِدًّا فِي عَمَلِي، وَمُنْذُ مِيلَادِ «أَمِين»، وَمَا أَعْقَبَ مِيلَادَهُ مِنْ أَحْدَاثٍ، لَمْ تَعُدْ لَدَيَّ أَدْنَى رَغْبَةٍ فِي الْعَزْفِ، أَوْ حَتَّى فِي سَمَاعِ الْمُوسِيقَى، وَأَنْتُمْ تُشَاهِدُونَ

الْبِيَانُو وَهُوَ يَكْسُوهُ التُّرَابُ بَعْدَ أَنْ هَجَرْتُهُ، وَقَدْ فَكَّرْتُ فِي بَيْعِهِ أَكْثَرَ مِنْ مَـرَّةٍ، وَلَكِنَّنِي كُنْتُ أَتَرَاجَعُ فِي آخِرِ لَحْظَةٍ، لِارْتِبَاطِهِ بِذِكْرَيَاتِ طُفُولَتِي وَشَبَابِي حَتَّى كَانَ الْأَمْسُ!

لَقَدْ حَرَّكَتْنِي كَلِمَاتُ «مُرَادٍ»، وَشَعَرْتُ بِأَنَّ أَصَابِعِي بَدَأَتْ تَسْـتَعِيدُ قُوَّتَهَا، وَكَانَ عَقْلِي مُنْشَغِلًا طُولَ الْيَوْمِ بِالْكَلِمَاتِ، وَظَلِلْـتُ مُنْشَـغِلَةً وَمَهْـمُومَـةً بِالْكَلِمَـاتِ لِعِـدَّةِ سَـاعَاتٍ، وَوَجَدْتُنِي أَقْتَـرِبُ مِنَ الْبِيَانُو، وَتَتَحَسَّـسُ أَصَابِعِي مَفَاتِيحَهُ، لَمْ أُصَدِّقْ نَفْسِـي، لَقَدْ تَصَوَّرْتُ أَنَّنِي فَقَـدْتُ قُدْرَتِي عَلَى الْعَزْفِ نِهَائِيًّا بَعْدَ مُضِيِّ كُلِّ هَذِهِ السَّـنَوَاتِ. فَلَمْ أَتَمَالَكْ نَفْسِـي مِنَ الْفَرَحِ، وَبَدَأْتُ أَبْكِي فَرَحًا عِنْدَمَا انْطَلَقَتِ النَّغَمَاتُ مُنْسَـابَةً بَيْنَ أَصَابِعِي. مَضَتْ سَاعَتَانِ وَأَنَا مُسْتَغْرِقَةٌ فِي إِعْدَادِ اللَّحْنِ، وَأَخِيرًا اكْتَمَلَ بَعْدَ إِجْرَاءِ عِدَّةِ تَعْدِيلَاتٍ عَلَيْهِ، وَلَوْلَا أَنَّنِي انْتَهَيْتُ مِنْ إِعْدَادِهِ فِي سَـاعَةٍ مُتَأَخِّـرَةٍ، لَكُنْتُ دَعَوْتُكُمْ لِلْحُضُورِ فَوْرًا لِتُشَارِكُونِي سَعَادَتِي.

ـ مُبَارَكٌ يَا عَمَّةُ.. كَأَنَّنَا فِي حُلْمٍ جَمِيلٍ.

ـ هَلْ تَحْفَظُونَ الْكَلِمَاتِ جَيِّدًا؟

ـ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ.

ـ إِذَنْ تَعَالَوْا مَعِي.

بَدَأَتِ الْأَنْغَامُ تَنْسَابُ فِي سُهُولَةٍ وَيُسْرٍ مِنْ أَصَابِعِ الْعَمَّةِ «مُنَى»، وَالْأَصْدِقَاءُ الْخَمْسَـةُ يُحِيطُونَ بِهَا، وَانْطَلَقَتْ أَصْوَاتُهُمُ الْعَذْبَـةُ تُغَنِّي كَلِمَاتِ «مُرَادٍ»، غَنَّوْهَا عِدَّةَ مَرَّاتٍ. وَأَخِيرًا قَالَتْ «مَيُّ»:

ـ كَفَى يَا جَمَاعَةُ لَقَدْ أَجْهَدْنَا الْعَمَّةَ «مُنَى».
ـ بِالْعَكْسِ أَنَا لَنْ أَتْعَبَ حَتَّى لَوْ عَزَفْتُهَا مِئَاتِ الْمَرَّاتِ!
ـ سَتَسْعَدُ الْعَمَّةُ «إِيمَانُ» بِهَا جِدًّا.
ـ لَقَدِ اتَّصَلْتُ بِهَا الْيَوْمَ، وَأَخْبَرْتُهَا، وَطَلَبَتْ مِنِّي سَمَاعَهَا، وَلِهَذَا سَنَذْهَبُ لَهَا جَمِيعًا غَدًا لِعَمَلِ بُرُوفَةٍ أَمَامَهَا.
ـ نَحْنُ مَعَكِ فِي أَيِّ مَكَانٍ.
ـ حَرَامٌ أَنْ تَسْجُنِي هَذِهِ الْمَوْهِبَةَ كُلَّ هَذِهِ السَّنَوَاتِ.
ـ عِنْدَمَا تَحَقَّقَتِ الْمُعْجِزَةُ اسْتَعَدْتُ ثِقَتِي بِنَفْسِي مَرَّةً أُخْرَى، وَسَأَعُودُ إِلَى عَمَلِي مَعَ بَدْءِ الْعَامِ الدِّرَاسِيِّ.
ـ هَذَا جَمِيلٌ.
ـ سَنَلْتَقِي إِذَنْ فِي تَمَامِ السَّاعَةِ الْعَاشِرَةِ.
ـ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

4

عِنْدَمَا وَصَلَ الْأَصْدِقَاءُ الْخَمْسَةُ وَ«مِيمُو» وَالْعَمَّةُ «مُنَى» إِلَى الْجَمْعِيَّةِ، وَجَدُوا كُلَّ مَنْ فِي الْجَمْعِيَّةِ مَشْغُولًا فِي عَمَلِ بُرُوفَاتِ الْحَفْلَةِ. اسْتَقْبَلَتْهُمُ السَّيِّدَةُ «إِيمَانُ» فِي لَهْفَةٍ:
ـ مَرْحَبًا بِالْأَصْدِقَاءِ الْأَعِزَّاءِ.. هَيَّا بِنَا إِلَى حُجْرَةِ الْمُوسِيقَى؛ حَتَّى لَا نُضَيِّعَ الْوَقْتَ.
فَتَوَجَّهَ الْجَمِيعُ مَعَهَا إِلَى حُجْرَةِ الْمُوسِيقَى. جَلَسَتِ الْعَمَّةُ «مُنَى»، كَانَتْ

تَبْـدُو قَلِقَةً، وَلَكِنْ بِمُجَـرَّدِ أَنْ وَجَدَتْ أَصَابِعَهَا طَرِيقَهَـا إِلَى الْبِيَانُو، هَدَأَتْ نَفْسُهَا بَعْضَ الشَّيْءِ.

جَلَسَـتِ السَّيِّدَةُ «إِيمَانُ» تَسْـتَمِعُ إِلَى الْأُغْنِيَةِ بِاهْتِمَامٍ بَالِغٍ، وَأَبْدَتْ بَعْضَ الْمُلَاحَظَـاتِ لِلْعَمَّةِ «مُنَى»، فَأَعَادَ الْأَصْدِقَاءُ الْغِنَـاءَ مَرَّةً أُخْرَى بَعْدَ إِحْدَاثِ تَعْدِيلَاتٍ بَسِيطَةٍ، حَتَّى اتَّفَقَتِ السَّيِّدَتَانِ عَلَى الشَّكْلِ النِّهَائِيِّ لِلْأَدَاءِ.

ـ مَا رَأْيُكِ؟

ـ أَحْيَانًـا تَبْدُو الْكَلِمَـاتُ عَاجِزَةً؛ فَكَلِمَـةُ «رَائِعَةٌ» لَنْ تُـوفِيَ الْجَمِيعَ حَقَّهُ، فَالْكَلِمَاتُ مُعَبِّرَةٌ، وَاللَّحْنُ مُتَمَيِّزٌ، وَالْأَدَاءُ صَادِقٌ. فَمَاذَا بَعْدَ ذَلِكَ؟!

ـ نَبْدَأُ إِذَنْ فِي تَدْرِيبِ الْأَطْفَالِ فِي الْجَمْعِيَّةِ بِأَسْرَعِ وَقْتٍ.

ـ أَنَـا لَا أَتَّفِقُ مَعَكِ فِي هَذَا يَا «مُنَى». سَـيَتَوَلَّى غِنَاءَهَا الْأَصْدِقَاءُ الْأَعِزَّاءُ؛ لِأَنَّ الْكَلِمَاتِ قَدْ تَكُونُ صَعْبَةً عَلَى أَوْلَادِ الْجَمْعِيَّةِ.

ـ إِذَنْ أَصْبَحَتِ الْمُهِمَّةُ أَيْسَرَ.

ـ وَسَـتَتَوَلَّى الْجَمْعِيَّةُ عَرْضَ فِيلمٍ تَسْجِيلِيٍّ، يُصَوِّرُ النَّشَاطَاتِ الَّتِي تُقَدِّمُهَا الْجَمْعِيَّـةُ لِلْأَطْفَـالِ، وَأَتَصَوَّرُ أَنَّ أُغْنِيَتَكُمْ سَـتَكُونُ الْخَلْفِيَّةَ الْمُنَاسِـبَةَ لِلْفِيلْمِ.

ـ اتَّفَقْنَا.

مَضَى أُسْـبُوعَانِ وَالْجَمِيعُ مُنْشَـغِلٌ فِي عَمَلِ الْبُرُوفَـاتِ، الْأَطْفَالُ وَمَعَهُمْ «أَمِينٌ» مُنْشَـغِلُونَ فِي تَصْوِيرِ الْفِيلْمِ، وَالْأَصْدِقَاءُ الْخَمْسَـةُ مُنْشَغِلُونَ بِعَمَلِ بُرُوفَاتِ الْأُغْنِيَةِ. وَهَاهُوَ الِاحْتِفَالُ غَدًا.

بَـاتَ الْأَصْدِقَـاءُ لَيْلَتَهُمْ فِي قَلَقٍ شَـدِيدٍ؛ تُـرَى هَلْ تُحَقِّـقُ الْأُغْنِيَةُ النَّجَاحَ الْمَنْشُودَ، وَتَصِلُ رِسَالَتُهُمْ لِلْجَمِيعِ؟!

يَسْتَعِدُّ الْجَمِيعُ الْآنَ لِلصُّعُودِ إِلَى خَشَبَةِ الْمَسْرَحِ، أُطْفِئَتِ الْأَنْوَارُ، وَبَدَأَ عَرْضُ الْفِيلْمِ التَّسْجِيلِيِّ. كَانَ الْفِيلْمُ يُصَوِّرُ أَطْفَالَ الْجَمْعِيَّةِ، وَهُمْ يُشَارِكُونَ فِي نَشَاطَاتٍ عَدِيدَةٍ مُهِمَّةٍ، فِي زِرَاعَةِ حَدِيقَةِ الْجَمْعِيَّةِ، وَفِي أَدَاءِ بَعْضِ الصِّنَاعَاتِ الْيَدَوِيَّةِ الْبَسِيطَةِ، كَمَا صَوَّرَهُمْ فِي لَحَظَاتِ لَعِبِهِمْ وَمَرَحِهِمْ. وَخَيَّمَ السُّكُونُ عِنْدَمَا بَدَأَتِ الْعَمَّةُ «مُنَى» الْعَزْفَ، وَانْطَلَقَتِ الْفِرْقَةُ الْمُوسِيقِيَّةُ الْمُصَاحِبَةُ لَهَا، وَانْطَلَقَ صَوْتُ الْأَصْدِقَاءِ يَخْتَرِقُ الصَّمْتَ:

إحنا أطفال زينا زيك ... لكن مختلفين عقلِيًّا عنك
نفرح.. نبكي ... نضحك .... نجري
ووقت الجد ... نبني ونروي
ما حنا أطفال زينا زيك ... لكن مختلفين عقلِيًّا عنك
إوعى في يوم تسخر مني ... وتقول لي بغيظ ابعد عني
وإوعى تقول لصحابك عني ... فلان ده أكيد أغبى مني
ما حنا أطفال زينا زيك ... لكن مختلفين عقلِيًّا عنك
مد إديك يا صديقي ساعدني ... اتبنى قضيتي وساندني

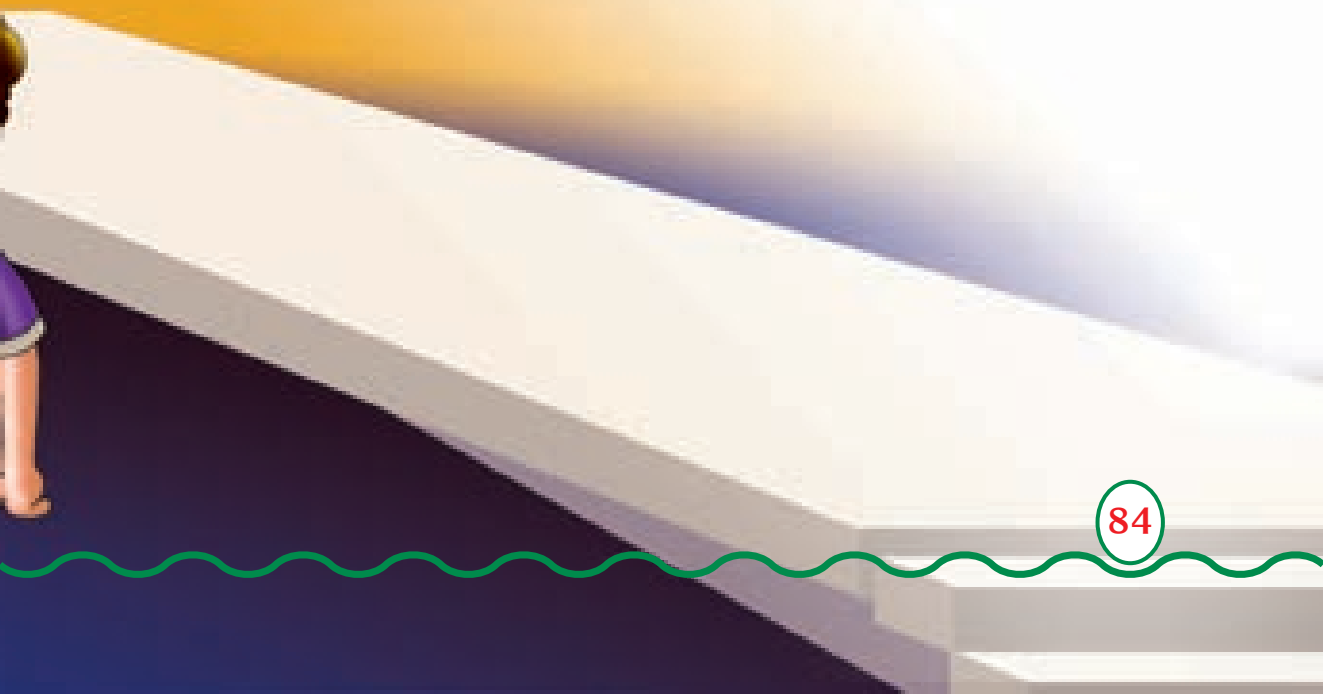

ولجل الخير ما يعم سماي ارفع صوتك قولها معاي
باسم الخير والإنسانية وبحق الأديان السماوية
كن عَنْ صدق حقيقي صديقي كن عَنْ صدق حقيقي صديقي
ماحنا أطفال زينا زيك لكن مختلِفين عقلِيًّا عنك
ماحنا أطفال زينا زيك لكن مختلِفين عقلِيًّا عنك

عِنْدَمَا انْتَهَى عَرْضُ الْفِيلْمِ دَوَّتِ الصَّالَةُ بِالتَّصْفِيقِ، وَطَلَبَ الْحَاضِرُونَ إِعَادَةَ عَرْضِ الْفِيلْمِ وَالْأُغْنِيَةِ مَرَّةً أُخْرَى.

وَبَعْدَ يَوْمَيْنِ قَابَلَ الْأَصْدِقَاءُ الْخَمْسَةُ وَالسَّيِّدَةُ «مُنَى»، رَئِيسَةَ مَجْلِسِ إِدَارَةِ الْجَمْعِيَّةِ، وَسَلَّمَتْهُمْ دِرْعَ الْجَمْعِيَّةِ؛ تَكْرِيمًا لِجُهْدِهِمُ الْمُتَمَيِّزِ، وَأَبْلَغَتْهُمْ أَنَّهُمْ سَيَسْمَعُونَ قَرِيبًا جِدًّا خَبَرًا سَارًّا.

تُرَى مَـا هُوَ هَذَا الْخَبَرُ السَّـارُّ؟ وَهَلْ يَخُصُّ «مِيمُو» وَحْـدَهُ، أَمْ يَخُصُّ الْجَمْعِيَّةَ وَأَطْفَالَهَا جَمِيعًا؟

ظَلَّتْ هَذِهِ الْأَسْئِلَةُ تُدَاعِبُ عُقُولَهُمُ الصَّغِيرَةَ طَوَالَ الْأُسْبُوعِ التَّالي.

الْفَصْلُ السَّابِعُ

عَوْدَةُ الْغَائِبِ

1

الْيَوْمَ إِذَا قَابَلْتَ «أَمِينًا» فَسَتَجِدُهُ سَعِيدًا جِدًّا، يُسَلِّمُ عَلَيْكَ بِوُدٍّ شَدِيدٍ، وَيَبْتَدِرُكَ قَائِلًا:

ـ أَبِي جَاءَ.. أَبِي جَاءَ.

وَهُوَ صَادِقٌ تَمَامًا؛ فَالْيَوْمَ سَيَذْهَبُ هُوَ وَوَالِدَتُهُ لِاسْتِقْبَالِ وَالِدِهِ فِي الْمَطَارِ. لَقَدْ عَادَ وَالِدُهُ إِلَى مِصْرَ أَخِيرًا؛ بَعْدَ انْتِهَاءِ سَنَوَاتِ إِعَارَتِهِ فِي السُّعُودِيَّةِ.

اسْتَعَدَّتْ أُسْرَةُ «أَحْمَدَ» لِزِيَارَةِ «أَمِينٍ»، لِتَهْنِئَةِ وَالِدِهِ الْأُسْتَاذِ «مُصْطَفَى» عَلَى عَوْدَتِهِ سَالِمًا إِلَى أَرْضِ الْوَطَنِ. اجْتَمَعَتِ الْأُسْرَتَانِ فِي الْمَسَاءِ، وَتَبَادَلَ الْجَمِيعُ الْأَحَادِيثَ وَالضَّحِكَاتِ، وَكَانَ مِحْوَرُ الْحَدِيثِ هُوَ «أَمِينًا» وَمُسْتَقْبَلَهُ.

وَقَدْ كَانَ سُلُوكُ «أَمِينٍ» فِي أَثْنَاءِ تِلْكَ الْأُمْسِيَةِ مُثِيرًا لِلضَّحِكِ، وَهُوَ سَعِيدٌ جِدًّا بِالْهَدَايَا الْكَثِيرَةِ الَّتِي أَحْضَرَهَا لَهُ وَالِدُهُ وَلِأَصْدِقَائِهِ، وَأَصَرَّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ عَلَى إِحْضَارِهَا جَمِيعًا، لِيُشَاهِدَهَا «أَحْمَدُ» وَ«هُدَى»، وَكُلَّمَا تَحَرَّكَ خُطْوَةً

تَتَسَـاقَطَ اللُّعَبُ وَالْهَدَايَا مِنْ يَدِهِ، فَيَضْحَـكُ وَيَضْحَكُ الْجَمِيعُ لِضَحِكِهِ، ثُمَّ يَبْدَأُ فِي تَجْمِيعِهَا مَرَّةً أُخْرَى.

سَادَتْ لَحْظَةُ صَمْتٍ، قَطَعَهَا الْأُسْتَاذُ «رِيَاضٌ» وَالِدُ «أَحْمَدَ»:

ـ وَأَنْتَ يَا «مُصْطَفَى» مَاذَا تَنْوِي أَنْ تَفْعَلَ؟

ـ حَالِيًّا أُفَكِّرُ فِي إِدَارَةِ مَشْرُوعٍ صَغِيرٍ.

ـ مَشْرُوعٌ صَغِيرٌ؟

ـ نَعَمْ. فَهُوَ أَنْسَبُ شَيْءٍ لِظُرُوفِي الْآنَ وَلِظُرُوفِ ابْنِي.

- عَـلَى فِكْرَةٍ الْحَاجُّ «مَبْرُوكٌ» صَاحِبُ السُّـوبَرْ مَارْكِـتْ الْمُقَابِلِ لِعِمَارَتِنَا، أَعْلَـنَ أَنَّهُ يَرْغَبُ فِي بَيْعِ الْمَحَلِّ؛ لِأَنَّهُ سَيَسْـتَقِرُّ فِي بَلْدَتِهِ الْمَنُوفِيَّةِ، بَعْدَ أَنْ تَزَوَّجَ جَمِيعُ أَبْنَائِهِ.
- هَذَا خَبَرٌ سَارٌّ فَالْمَحَلُّ مُوَاجِهٌ لِلْمَنْزِلِ، وَبِهَذَا يَتَيَسَّرُ لِي رِعَايَةُ أُسْرَتِي.
- كَمَـا أَنَّـهُ سَـيُتِيحُ لِـ«أَمِيـنٍ» مُشَارَكَتَكَ وَمَعُونَتَكَ فِيمَا بَعْدُ.
- هَذَا خَطَرَ فِي بَالِي الْآنَ.
- إِذَنْ دَعِ الْأَمْرَ لِي، فَأَنَا أُقَابِلُ الْحَاجَّ «مَبْـرُوكًا» يَوْمِيًّـا فِي الْجَامِـعِ، وَسَأُرَتِّبُ لَكَ مَوْعِدًا لِمُقَابَلَتِهِ.

انْتَهَى الْحَدِيثُ عِنْدَ هَذَا، وَانْصَرَفَتْ أُسْرَةُ «أَحْمَدَ»، مُتَمَنِّيَةً لِأُسْرَةِ «أَمِينٍ» كُلَّ التَّوْفِيقِ وَالنَّجَاحِ.

مَرَّتْ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ، انْشَغَلَ الْجَمِيعُ فِي أَثْنَائِهَا بِكَثِيرٍ مِنَ الْأَعْبَاءِ، فَالْأَصْدِقَاءُ الْخَمْسَةُ انْشَغَلُوا بِالدِّرَاسَةِ وَالِاسْتِذْكَارِ، وَكَانَ «أَمِينٌ» مُنْشَغِلًا بِمُمَارَسَةِ نَشَاطَاتِ الْجَمْعِيَّةِ، كَمَا كَانَ يَسْتَعِدُّ لِلِاشْتِرَاكِ فِي مُسَابَقَةٍ عَالَمِيَّةٍ لِلرَّسْمِ تُنَظِّمُهَا الْهِنْدُ. وَكَانَتْ مُدِيرَةُ الْجَمْعِيَّةِ مُتَحَمِّسَةً جِدًّا لِـ«أَمِينٍ»، وَتَجْزِمُ أَنَّهُ سَيَفُوزُ بِمَرْكَزٍ مُتَقَدِّمٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. أَمَّا الْعَمَّةُ «مُنَى» فَكَانَتْ مُنْشَغِلَةً بِدِرَاسَتِهَا، فَهِيَ تَسْتَعِدُّ لِلْحُصُولِ عَلَى دُبْلُومٍ خَاصٍّ فِي التَّرْبِيَةِ الْمُوسِيقِيَّةِ، وَتَحْلُمُ أَنْ تُكْمِلَ دِرَاسَاتِهَا الْعُلْيَا، وَتَحْصُلَ عَلَى الْمَاجِسْتِيرِ وَالدُّكْتُورَاهِ. وَالْعَمُّ «مُصْطَفَى» كَانَ مُنْشَغِلًا فِي عَمَلِ بَعْضِ الْإِصْلَاحَاتِ وَالدِّيكُورَاتِ بِالْمَحَلِّ، وَهَاهُو عَلَى وَشَكِ الِانْتِهَاءِ مِنْهَا.

خَرَجَ «أَحْمَدُ» مِنْ حُجْرَتِهِ ذَاتَ مَسَاءٍ عَلَى صَوْتِ وَالِدَتِهِ:

ـ «أَحْمَدُ» تِلِيفُونٌ.

ـ مَنْ يَا أُمِّي؟

ـ الْعَمَّةُ «إِيمَانُ».

أَسْرَعَ «أَحْمَدُ» وَالْتَقَطَ السَّمَّاعَةَ مِنْ وَالِدَتِهِ، وَكَانَتْ «هُدَى» تَرْقُبُهُ مِنْ بَعِيدٍ بِفُضُولٍ شَدِيدٍ.

ـ أَهْلًا يَا عَمَّةُ.

ـ .....

ـ هَذَا جَمِيلٌ.

ـ .....

ـ مُوَافِقُونَ طَبْعًا.

وَعِنْدَمَا انْتَهَى «أَحْمَدُ» مِنَ الْمُكَالَمَةِ، ابْتَدَرَتْهُ «هُدَى» مُتَسَائِلَةً:

ـ فِيمَ كَانَتْ تُكَلِّمُكَ الْعَمَّةُ «إِيمَانُ»؟

ـ أَخْبَرَتْنِي بِأَنَّ جَمْعِيَّةَ «بَشَائِرُ الْخَيْرِ» تَسْتَعِدُّ لِتَنْظِيمِ دَوْرَةٍ تَدْرِيبِيَّةٍ لِلْأَطْفَالِ أَصْدِقَاءِ الْمُخْتَلِفِينَ عَقْلِيًّا، لِتَدْرِيبِهِمْ عَلَى كَيْفِيَّةِ التَّعَامُلِ الصَّحِيحِ مَعَهُمْ.

ـ وَمَتَى سَتَبْدَأُ؟

ـ فِي إِجَازَةِ مُنْتَصَفِ الْعَامِ.

ـ هَذَا حَسَنٌ؛ حَتَّى يُمْكِنَنَا الِاشْتِرَاكُ فِيهَا.

ـ الْعَمَّةُ «إِيمَانُ» سَأَلَتْنِي إِنْ كُنَّا نَرْغَبُ فِي الِاشْتِرَاكِ فِيهَا أَمْ لَا، فَأَجَبْتُهَا بِالنِّيَابَةِ عَنْكُمْ بِأَنَّنَا مُوَافِقُونَ جَمِيعًا بِالطَّبْعِ.

ـ وَهَلْ تَشُكُّ فِي ذَلِكَ؟ لَقَدْ كُنَّا نَتَمَنَّى ذَلِكَ مُنْذُ عَرَفْنَا «أَمِينًا» وَاقْتَرَبْنَا مِنْهُ.

ـ أَتَدْرِينَ لِمَاذَا تُنَظَّمُ تِلْكَ الدَّوْرَةُ؟

ـ لِلتَّوْعِيَةِ طَبْعًا.أَلَيْسَ ذَلِكَ؟

ـ التَّوْعِيَةُ هَدَفٌ مِنْ أَهْدَافِهَا الْفَرْعِيَّةِ، لَكِنَّ هَدَفَهَا الْأَسَاسِيَّ هُوَ أَنَّ الْجَمْعِيَّةَ تَسْتَعِدُّ لِإِشْهَارِ جَمْعِيَّةٍ فَرْعِيَّةٍ لِأَصْدِقَاءِ الْمُخْتَلِفِينَ عَقْلِيًّا، وَلِهَذَا فَهِيَ سَتُنَظِّمُ عِدَّةَ دَوْرَاتٍ لِلصِّغَارِ وَالْكِبَارِ عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ، لِيَكُونَ الْجَمِيعُ مُؤَهَّلًا لِلتَّعَامُلِ مَعَ هَؤُلَاءِ الْأَطْفَالِ. إِنَّنِي أُفَكِّرُ الْآنَ فِي «مُرَادٍ»، سَيَسْعَدُ جِدًّا عِنْدَمَا يَعْلَمُ بِهَذَا الْخَبَرِ!

ـ وَلِمَاذَا «مُرَادٌ» بِالذَّاتِ؟

ـ لِأَنَّ الْجَمْعِيَّةَ سَتَحْمِلُ اسْمَ قَصِيدَتِهِ؛ فَقَدْ قَرَّرُوا أَنْ يَكُونَ اسْمُهَا «كُنْ صَدِيقِي».

قَفَزَتْ «هُدَى» مِنْ مَكَانِهَا، وَأَخَذَتْ تُصَفِّقُ، ثُمَّ قَالَتْ وَهِيَ تَحْتَضِنُ «أَحْمَدَ»:

ـ هَذَا رَائِعٌ. نَحْنُ نَسِيرُ الْآنَ فِي الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ.

2

انْتَهَى الْأَصْدِقَاءُ مِنْ أَدَاءِ امْتِحَانَاتِ نِصْفِ الْعَامِ، وَهَاهُمْ يَسْتَعِدُّونَ الْآنَ لِلِانْضِمَامِ إِلَى الدَّوْرَةِ التَّدْرِيبِيَّةِ الَّتِي تُنَظِّمُهَا الْجَمْعِيَّةُ.

وَقَدْ أَعَدَّ «أَحْمَدُ» وَ«مُرَادٌ» قَائِمَةً بِأَسْمَاءِ كُلِّ الْأَصْدِقَاءِ الَّذِينَ يَرْغَبُونَ فِي الِاشْتِرَاكِ فِي تِلْكَ الدَّوْرَةِ التَّدْرِيبِيَّةِ.

تَكَوَّنَتِ الدَّوْرَةُ مِنْ خَمْسِينَ طِفْلًا مِنْ مُخْتَلِفِ الْأَعْمَارِ، وَاسْتَغْرَقَتْ أُسْبُوعَيْنِ. زَارَ الْأَصْدِقَاءُ فِي أَثْنَائِهَا عَدِيدًا مِنَ الْمُؤَسَّسَاتِ، وَالْجَمْعِيَّاتِ الْخَاصَّةِ بِالْأَطْفَالِ الْمُخْتَلِفِينَ عَقْلِيًّا، وَتَعَرَّفُوا عَلَى طَبِيعَةِ الْخِدْمَاتِ الَّتِي تُقَدِّمُهَا كُلٌّ مِنْهَا، كَمَا زُوِّدَ كُلُّ طِفْلٍ بِكُتَيِّبٍ يَعْرِضُ كُلَّ الْمَعْلُومَاتِ الْخَاصَّةِ بِكُلِّ جَمْعِيَّةٍ أَوْ مُؤَسَّسَةٍ، وَطَبِيعَةَ النَّشَاطَاتِ الَّتِي تُقَدِّمُهَا، وَأَسْمَاءَ الْإِخْصَائِيِّينَ النَّفْسِيِّينَ الْعَامِلِينَ بِهَا، وَأَرْقَامَ هَوَاتِفِهِمْ، لِيَسْهُلَ عَلَى الْأَصْدِقَاءِ الصِّغَارِ الِاسْتِفْسَارُ عَنْ أَيَّةِ مُشْكِلَةٍ تُوَاجِهُهُمْ عِنْدَ التَّفَاعُلِ مَعَ الْأَطْفَالِ الْمُخْتَلِفِينَ عَقْلِيًّا. كَمَا تَدَرَّبُوا مِنْ خِلَالِ وَرَشِ عَمَلٍ نَظَّمَتْهَا الْجَمْعِيَّةُ، عَلَى كَيْفِيَّةِ التَّعَامُلِ مَعَ هَؤُلَاءِ الْأَطْفَالِ.

أَحَسَّ الْجَمِيعُ بَعْدَ انْتِهَاءِ هَذِهِ الدَّوْرَةِ، أَنَّهُمْ كَانَ يَنْقُصُهُمْ كَثِيرٌ مِنَ الْمَهَارَاتِ اللَّازِمَةِ لِلتَّعَامُلِ الصَّحِيحِ مَعَ هَؤُلَاءِ الْأَطْفَالِ.

وَنَظَّمَتِ الْجَمْعِيَّةُ بَعْدَ ذَلِكَ دَوْرَةً تَدْرِيبِيَّةً لِلْكِبَارِ، كَمَا عُقِدَتْ عِدَّةُ نَدَوَاتٍ بِالْمَدَارِسِ وَالنَّوَادِي، ثُمَّ اخْتِيرَ مَجْلِسُ إِدَارَةِ الْجَمْعِيَّةِ مِنْ آبَاءِ الْمُخْتَلِفِينَ عَقْلِيًّا، وَأَصْدِقَائِهِمُ الَّذِينَ دَرَّبَتْهُمُ الْجَمْعِيَّةُ، وَهَا هِيَ الْآنَ تَسْتَعِدُّ لِمُمَارَسَةِ نَشَاطِهَا بِشَكْلٍ رَسْمِيٍّ، وَتُعِدُّ الْعَمَّةُ «إِيمَانُ» الْآنَ لِتَنْظِيمِ دَوْرَةٍ بِعُنْوَانِ «عَلِّمْ غَيْرَكَ» تَحْتَ إِشْرَافِ الْمُخْتَصِّينَ بِالْجَمْعِيَّةِ، حَيْثُ سَيُكَلَّفُ كُلُّ طِفْلٍ سَبَقَ تَدْرِيبُهُ بِتَدْرِيبِ خَمْسَةِ أَطْفَالٍ جُدُدٍ، كَمَا كَلَّفَتِ الْجَمْعِيَّةُ أَصْدِقَاءَ الْمُخْتَلِفِينَ عَقْلِيًّا بِتَجْمِيعِ مَعْلُومَاتٍ عِلْمِيَّةٍ عَنِ «التَّأَخُّرِ الْعَقْلِيِّ» مِنْ خِلَالِ الِاتِّصَالِ بِشَبَكَةِ الْإِنْتَرْنِت، وَذَلِكَ اسْتِعْدَادًا لِنَشْرِ مَجَلَّةٍ شَهْرِيَّةٍ بِاسْمِ جَمْعِيَّةِ «بَشَائِرُ الْخَيْرِ» لِتَوْعِيَةِ الْمُجْتَمَعِ.

وَقَدْ نَجَحَتِ الْجَمْعِيَّةُ فِي دَعْوَةِ مَجْمُوعَةٍ مِنْ رِجَالِ الْأَعْمَالِ، وَأَصْحَابِ الْمَصَانِعِ، وَطَلَبَتْ مِنْهُمْ مُسَاعَدَتَهَا عَلَى تَوْظِيفِ أَبْنَاءِ الْجَمْعِيَّةِ الْأَكْبَرِ سِنًّا، الْمُؤَهَّلِينَ لِأَدَاءِ بَعْضِ الْحِرَفِ الْبَسِيطَةِ، وَبِالْفِعْلِ تَمَّ التَّعَاقُدُ مَعَ عَدَدٍ مِنَ الْمَصَانِعِ، كَمَا تَعَهَّدَ الْآبَاءُ بِبَذْلِ قُصَارَى جُهْدِهِمْ لِجَمْعِ التَّبَرُّعَاتِ الْمَالِيَّةِ لِتَمْوِيلِ نَشَاطَاتِ الْجَمْعِيَّةِ.

3

يَزْدَادُ عَدَدُ أَصْدِقَاءِ الْمُخْتَلِفِينَ عَقْلِيًّا يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ، وَعَامًا بَعْدَ عَامٍ، وَتَتَّسِعُ نَشَاطَاتُ الْجَمْعِيَّةِ. وَقَدْ تَسْأَلُنِي: أَيْنَ «أَمِينٌ» الْآنَ؟ وَأَيْنَ الْأَصْدِقَاءُ

الْخَمْسَةُ بَعْدَ انْقِضَاءِ كُـلِّ هَذِهِ السَّنَوَاتِ؟

«أَمِينٌ» يَا أَصْدِقَائِي الْآنَ شَـابٌّ يَافِعٌ يَقْتَرِبُ مِنَ السَّادِسَـةَ عَشْرَةَ، وَهُوَ نَاجِحٌ، تَسْـعَدُ كَثِيرًا إِذَا قَابَلْتَهُ، وَتَشْـعُرُ بِالْفَخْرِ بِـهِ وَبِكِفَاحِهِ النَّبِيلِ، فَهُوَ مَشْـغُولٌ بِاسْـتِمْرَارٍ، فِي الصَّبَاحِ يَعْمَلُ فِي مَصْنَـعٍ لِصِنَاعَةِ الصَّابُونِ، حَيْثُ يَتَوَلَّى هُوَ وَرُفَقَاؤُهُ مِنْ أَبْنَاءِ الْجَمْعِيَّةِ مُهِمَّةَ تَغْلِيفِ صَابُونِ الْمَصْنَعِ، وَأَثْبَتُوا نَجَاحًـا كَبِيرًا فِي إِنْجَازِ هَذِهِ الْمُهِمَّةِ، وَيَتَقَاضَى رَاتِبًا شَـهْرِيًّا يُشْـعِرُهُ بِأَنَّهُ إِنْسَـانٌ مَسْؤُولٌ، وَفِي الْمَسَـاءِ يَقِفُ مَعَ وَالِدِهِ فِي السُّوبَرْ مَارْكِتْ، وَهُوَ دَائِمًا مُبْتَسِمٌ، يَسْتَقْبِلُ الزَّبَائِنَ بِوَجْهِهِ الْبَشُوشِ، وَيُلَبِّي طَلَبَاتِهِمْ، وَهُوَ خَيْرُ مُعِينٍ لِوَالِدِهِ، فَهُوَ الْآنَ يَحْفَظُ أَمَاكِنَ مُخْتَلِفِ السِّـلَعِ، كَمَا أَنَّهُ حُلْوُ الْمَعْشَرِ، يُحِبُّهُ الْجَمِيعُ، وَيَسْتَبْشِـرُونَ بِهِ خَيْرًا؛ لِأَنَّهُ دَائِمُ الِابْتِسَـامِ، كَمَا أَنَّ وَالِدَهُ يَسْتَعِينُ بِهِ دَائِمًا، وَفَخُورٌ بِهِ.

وَقَدِ اتَّسَـعَ نَشَاطُ الْمَحَلِّ خِلَالَ السَّنَوَاتِ الْمَاضِيَةِ، وَضَمَّ وَالِدُهُ إِلَى مَحَلِّهِ مَحَلًا آخَرَ مُجَاوِرًا لَهُ، بَعْدَ إِزَالَةِ الْحَائِطِ الْفَاصِلِ بَيْنَهُمَا.

وَسَتَنْدَهِشُـونَ يَـا أَصْدِقَائِي إِذَا عَرَفْتُـمْ أَنَّ «مُـرَادًا» وَ«أَحْمَدَ»، وَ«مَيَّ» وَ«هُـدَى» الْآنَ طُلَّابٌ بِالْجَامِعَةِ، فَـ«مُرَادٌ» الْآنَ طَالِبٌ بِكُلِّيَّةِ الْإِعْلَامِ، وَيَحْلُمُ بِأَنْ يُصْدِرَ جَرِيدَةً عَنِ الْمُخْتَلِفِينَ عَقْلِيًّا، تُعَرِّفُ الْجَمِيعَ بِهِمْ وَبِاحْتِيَاجَاتِهِمْ. وَ«أَحْمَدُ» طَالِبٌ بِكُلِّيَّةِ الْحُقُوقِ، وَيَتَمَنَّى أَنْ يُؤَسِّسَ جَمْعِيَّةً هَدَفُهَا الدِّفَاعُ عَنْ حُقُوقِ الْمُخْتَلِفِيـنَ عَقْلِيًّا. أَمَّا «مَيُّ» فَقَدِ اخْتَارَتْ كُلِّيَّةَ الْآدَابِ، وَهِيَ تَدْرُسُ حَالِيًّا بِقِسْـمِ عِلْمِ النَّفْسِ، وَتَتَمَنَّى أَنْ تُصْبِحَ إِخْصَائِيَّةً نَفْسِـيَّةً نَاجِحَةً مِثْلَ الْعَمَّةِ «إِيمَانَ». وَ«هُدَى» طَالِبَـةٌ بِكُلِّيَّةِ الطِّبِّ، وَتَتَمَنَّى أَنْ تُصْبِحَ إِخْصَائِيَّةَ مُخٍّ وَأَعْصَابٍ، وَتَحْلُمَ بِأَنْ يَكُونَ لَدَيْهَا مَرْكَزٌ يَكْتَشِفُ هَؤُلَاءِ الصِّغَارَ مُبَكِّرًا،

وَيُخَفِّفَ مُعَانَاتِهِمْ، أَمَّا «مَرْوَةُ» فَهِيَ طَالِبَةٌ بِالْمَرْحَلَةِ الثَّانَوِيَّةِ.

تُرَى يَا أَصْدِقَائِي أَيْنَ الْعَمَّةُ «مُنَى» الْآنَ؟ وَبِمَاذَا تَشْعُرُ؟

عِنْدَمَا تَدْخُلُ جَمْعِيَّةَ «كُنْ صَدِيقِي» سَيُصَادِفُكَ مَمَرٌّ طَوِيلٌ، انْحَرِفْ يَمِينًا، سَيَكُونُ فِي مُوَاجَهَتِكَ مَكْتَبُ رَئِيسِ مَجْلِسِ إِدَارَةِ الْجَمْعِيَّةِ، اطْرُقْ عَلَى الْبَابِ قَلِيلًا، سَيَصِلُكَ عَلَى الْفَوْرِ صَوْتٌ رَقِيقٌ دَافِئٌ يُشَجِّعُكَ وَيَسْتَحِثُّكَ عَلَى الدُّخُولِ بِلَا خَوْفٍ أَوْ تَرَدُّدٍ. إِنَّهُ بِلَا شَكٍّ صَوْتُ إِنْسَانَةٍ رَقِيقَةٍ مُتَفَهِّمَةٍ، سَتَسْأَلُنِي مَنْ تَكُونُ؟! سَأُخْبِرُكَ أَنَّهَا الْعَمَّةُ «مُنَى» أَقْصِدُ الدُّكْتُورَةَ «مُنَى».. نَعَمْ الدُّكْتُورَةُ «مُنَى»؛ فَقَدْ حَقَّقَتْ حُلْمَهَا بَعْدَ عَنَاءِ سَنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ، وَحَصَلَتْ عَلَى الدُّكْتُورَاه عَنْ بَرْنَامَجٍ مُوسِيقِيٍّ مُتَمَيِّزٍ أَعَدَّتْهُ لِتَأْهِيلِ الْأَطْفَالِ الْمُخْتَلِفِينَ عَقْلِيًّا، هَدَفُ الْبَرْنَامَجِ إِكْسَابُ هَؤُلَاءِ الْأَطْفَالِ بَعْضَ الْمَهَارَاتِ الْحَيَاتِيَّةِ.

فَاسْتَحَقَّتْ بِجَدَارَةٍ وَبِالْإِجْمَاعِ أَنْ تَتَوَلَّى هَذَا الْمَنْصِبَ، فَمَنْ أَجْدَرُ مِنْهَا لِشَغْلِ هَذَا الْمَنْصِبِ؟! أَلَمْ تَقُلِ الْعَمَّةُ «إِيمَانُ» يَوْمًا: إِنَّ مَنْ يَعْمَلُ مَعَ الْأَطْفَالِ الْمُخْتَلِفِينَ عَقْلِيًّا يَنْبَغِي أَنْ يَتَحَلَّى بِخِصَالٍ ثَلَاثٍ مُهِمَّةٍ، هِيَ: الْعِلْمُ، وَحُبُّ هَؤُلَاءِ الْأَطْفَالِ، وَتَقَبُّلُهُمْ. وَالْعَمَّةُ «مُنَى» تَمْتَلِكُ هَذِهِ الْخِصَالَ جَمِيعًا؛ فَهِيَ تُحِبُّهُمْ حُبًّا جَمًّا، وَتَتَفَهَّمُ احْتِيَاجَاتِهِمْ، كَمَا أَنَّهَا الْآنَ بِحُكْمِ عِلْمِهَا، تَعْمَلُ كَاسْتِشَارِيٍّ نَفْسِيٍّ فِي عَدِيدٍ مِنَ الْهَيْئَاتِ، وَتُحَاوِلُ أَنْ تُوَظِّفَ عِلْمَهَا لِتَعْلِيمِ هَؤُلَاءِ الْأَطْفَالِ وَإِسْعَادِهِمْ. وَعِنْدَمَا تَسْأَلُهَا الْآنَ عَنْ شُعُورِهَا، سَتَبْتَسِمُ لَكَ بِرِقَّةٍ وَتَقُولُ لَكَ:

ـ أَحْمَدُ اللَّهَ أَنَّنِي الْآنَ فِي قِمَّةِ السَّعَادَةِ؛ فَابْنِي إِنْسَانٌ مُتَمَيِّزٌ، جَدِيرٌ بِالثِّقَةِ، وَأَنَا فَخُورَةٌ بِهِ جِدًّا، فَهُوَ رَسَّامٌ مُتَمَيِّزٌ، حَاصِلٌ عَلَى عِدَّةِ شَهَادَاتِ تَقْدِيرٍ تَقْدِيرًا لِمَوْهِبَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ فَازَ فِي عَدِيدٍ مِنَ الْمُسَابَقَاتِ الدَّوْلِيَّةِ الْخَاصَّةِ

بِالْمُخْتَلِفِينَ عَقْلِيًّا، وَهُوَ سَبَّاحٌ مَاهِرٌ، وَفَوْقَ كُلِّ ذَلِكَ فَهُوَ يَحْتَرِفُ مِهْنَةً شَرِيفَةً، صَحِيحٌ أَنَّهَا بَسِيطَةٌ، لَكِنَّهَا غَايَةٌ فِي الْأَهَمِّيَّةِ، وَهِيَ تُدِرُّ عَلَيْهِ دَخْلًا مَعْقُولًا، كَمَا أَنَّهُ ابْنٌ بَارٌّ بِي وَبِوَالِدِهِ، وَهُوَ خَيْرُ مُعِينٍ لَنَا. فَمَاذَا بَعْدَ ذَلِكَ؟!

وَالْآنَ يَا صَدِيقِي هَلْ تَرْغَبُ فِي أَنْ تَكُونَ صَدِيقًا لِلْأَطْفَالِ الْمُخْتَلِفِينَ عَقْلِيًّا؟

إِذَا كَانَتْ إِجَابَتُكَ نَعَمْ، فَتَعَالَ مَعِي وَانْضَمَّ إِلَيْنَا فِي جَمْعِيَّةِ «كُنْ صَدِيقِي».

قَدْ تَسْأَلُنِي أَيْنَ مَقَرُّهَا؟ فَأُجِيبُكَ: هَذِهِ الْجَمْعِيَّةُ مَوْجُودَةٌ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، ابْحَثْ عَنْهَا بِنَفْسِكَ، فَسَتَجِدُهَا قَرِيبَةً جِدًّا مِنْكَ، ابْحَثْ عَنْهَا دَاخِلَ قَلْبِكَ إِذَا كَانَ لَكَ قَلْبٌ يَقِظٌ، وَفَكِّرْ فِيهَا كَثِيرًا، إِذَا كَانَ لَدَيْكَ عَقْلٌ نَابِضٌ، فَسَتَجِدُ أَنَّهَا مَوْجُودَةٌ بِدَاخِلِكَ فِي دَاخِلِ ذَلِكَ الرُّكْنِ الْمُضِيءِ دَاخِلَ نَفْسِكَ، وَلَنْ تَحْتَاجَ لِإِشْهَارِهَا سِوَى أَنْ تَكُونَ صَادِقًا فِي مَشَاعِرِكَ تِجَاهَ هَؤُلَاءِ الصِّغَارِ، وَأَنْ تَكُونَ ذَا قَلْبٍ رَحِيمٍ، وَضَمِيرٍ حَيٍّ، عِنْدَئِذٍ تَسْتَحِقُّ بِجَدَارَةٍ أَنْ نَمْنَحَكَ لَقَبَ «صَدِيقُ الْمُخْتَلِفِينَ عَقْلِيًّا».